www.awu.sy

الأسبوع الأدبي

الثقافة ثراء وسيرورة لا تنتهي

"السنة الثلاثون" العدد: "1487" الأحد 2016/5/1م - 24 رجب1437هـ

16 صفحة

25 ل.س

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية

الافتتاحية

• د.نضال الصالح

دمقرطة الثقافة

لأنّ الفعل الثقافي فعلٌ حواريّ بامتياز، ولأنّ المثقّف بالفعل لا المثقّف بالقوّة شخصية حوارية بامتياز، فثمّة مهمّات كثيرة منوطة بهما دائماً، مهمّات تتطلّب مثقّفين يقدّمون انتماءهم إلى الحقيقة على أيّ انتماء آخر، ويجهرون بسوءات الأشياء، ويقارعون الزيف، ويكونون أنفسهم ولا يكونون سواهم. ولأنّهما كذلك، الفعل الثقافي والمثقّف بالفعل، ولأنّ الأغلب الأعمّ ممّا سبق من فعالياتنا الثقافية يبدو على طرف نقيض مع هاتين السمتين، فثمّة ما يدعو إلى "تحضير" هذه الفعاليات، وإلى إطلاقها من الأغلال التي تجعلها أفعالاً وظيفية، واحتفالية خاصة أحياناً، وليست تنويرية.

إنّ معظم المنابر الثقافية لدينا أشبه ما يكون بجزر معزول بعضها عن الآخر، ومعظم الأوصياء على هذه المنابر لا يعنيهم من الفعل الثقافي سوى ما هو إعلامي أو وظيفي، ومعظمهم أيضاً يقدّم "النكرات" على "المعارف"، لأنّهم يحرصون، في الأصل، شأن معظم الأوصياء في مؤسساتنا العامة، على إنتاج أتباع لهم لا على إنتاج ثقافة، وعلى عبيد يسبّحون بحمدهم، لا على أحرار بحقّ، بالمعنى الدقيق لكلمة الحرية ما من شيء يعنيهم سوى الوطن.

وبمنأى عمّا يكون مخلصاً لوجه الثقافة، لوجه الوطن، فستظلّ فعالياتنا الثقافية مصابة بداء التضليل الذي ينشب مخالبه في لحم الحقيقة، وسيتابع الأتباع / العبيد / الحواة قفزهم من منبر إلى آخر، ومن فعالية إلى أخرى، ومن جنس إبداعي، أو حقل معرفيّ، إلى آخر، وستتحوّل الثقافة من كونها فعل تنوير لتصبح فعل تزوير.

ومرجعيّات هذه الحال، بل مرجعيّتها الأكثر نصوعاً، هو أنّ ثمّة تغليباً لإرادة الفرد وتهميشاً لإرادة الجماعة، وإلى حد يتجلّى الكثير من مؤسساتنا الثقافية معه بوصفه "إقطاعية" خاصة، لا مؤسسة. إقطاعية يستزلم "الآغا" فيها تابعاً أو أكثر، ليكون، أو ليكونوا، أبواقاً له، وينفي، عن سابق إرادة وتصميم، مَن تعنيه الحقيقة المعرفية والوطنية فحسب.

إنّ الفعل الثقافي الحقيقيّ، الوطنيّ، هو الفعل الذي تصنعه الجماعة، والذي تصوغه إرادات تلك الحقيقة. وأيّ محاولة، أو محاولات، لإقصاء هذه الإرادات، تعني الإجهاز على الحقيقة نفسها، وبعثرتها، وتبديدها، والاكتفاء بسطوح الأشياء لا بجواهرها. والمطلوب، بل الواجب، تشكيل هيئة استشارية في كلّ مؤسسة ثقافية، لا تكون بديلاً من إدارة المؤسسة، بل مسنداً إليه بتعبير النحويين العرب، لا تستقيم الجملة بغيابه. والمطلوب، بل الواجب أيضاً، أن يتمّ انتخاب الهيئات من المثقّفين أنفسهم، ومن غير أن يمارس على فعاليات الانتخاب أيّ فعل وصائي، وأن تقوم هذه الهيئات بوضع خطط وبرامج ترتقي بالثقافة، وتغلّب الانتماء إلى الوطن على الانتماء لسواه، وتسهم في التطوير والتحديث، وتدفع بعجلة التقدّم الحضاري إلى الأمام دائماً.

المطلوب، بل الواجب، دمقرطة الثقافة، وإشاعة ثقافة الحوار، ومأسسة العمل الثقافي، والجهر بالحقيقة، لا لكي تتحرّر الثقافة من لعنة الدخلاء، والأدعياء، والمهرّجين، والأميين، فحسب، بل لكي تستعيد أيضاً الهدف الأساسي لها، أي البناء والتنوير، لا التزييف أو التدمير.

وغير خاف أنّ هذا المطلوب، والواجب، أكثر ما يكون ضرورة في المنعطفات التاريخية الكبرى، وعلى نحو خاص فيما يبدو استهدافاً لمنظومة القيم في هذا المجتمع أو ذاك، ومحاولات محمومة لفرض هوية بديلة من تلك التي تواضع هذا المجتمع عليها عبر تاريخه، وارتضاها لنفسه وفق عقد اجتماعيّ بين أبنائه.

ولعلّه غير خاف ثانياً أنّ المثقّف لسان حال الجماعة، لا لسان حاله وحده، وإن لم يكن كذلك فلا بدّ أنه كاتب فحسب، وليس مثقفاً، وشتّان ما بين الصفتين اللتين غالباً ما تتم المماهاة بينهما بوصفهما صفتين لموصوف واحد، على حين أنّ كلاً منهما تحيل على نظام أخلاقيّ مختلف، أو يكاد يكون مختلفاً تماماً، عمّا تحيل الأخرى عليه، كما تقول بهذا وقائع التاريخ، وكما يقول به حال «الثقافة» في السنوات الخمس الفائتة التي تفصدت عن «ربيع» زيف لم يكن له من اسمه أيّ نصيب.

ثقافة التنوير مشروع نهضة وإحياء

التيار الداعي إلى القومية العربية وحده من حقق نجاحاً مرموقاً...

• د. يوسف جاد الحق ـــ ص3

القدس وعملية التهويد

والقدس اليوم تكاد تعلن مدينة يهودية كاملة في وقت يطحن العرب بعضهم بعضاً..

• زبير سلطان قدوري ـــ ص4

قصة جديدة لـ إيفو أندريتش

ولد إيفو أندريتش في قرية دولاتس التابعة لمدينة ترافنيك في جمهورية البوسنة والهرسك عام 1892

•نزيه الشوفي ـــ ص9

سرديات ساراماغو

ولد خوسيه ساراماغو عام 1922 في منطقة أريناغا في البرتغال..

•خليل البيطار ـــ ص 13

اتحاد الكتاب العرب جبهة ثقافية نعتز بها!

التقى الرفيق الدكتور خلف المفتاح عضو القيادة القطرية، رئيس مكتب الإعداد والإعلام والثقافة السيد رئيس اتحاد الكتّاب العرب الدكتور نضال الصالح، وأعضاء المكتب التنفيذي للاتحاد، يوم الاثنين الماضي (2016/4/14)، وذلك في مقر الاتحاد.

تحدث الدكتور خلف المفتاح عن الأوضاع السياسية، والميدان السوري، في ظل الحرب المفروضة على سورية، فقال: أثبتت سورية أنها دولة محورية وفاعلة ومؤثرة في محيطها، وهذا بالضبط ما أزعج الأمريكان، ومن اصطف معهم في المحور الذي تبنى (الفوضى الخلاقة)، من أجل تدمير البلدان،

..... البقية في الصفحة ١٦

ويبقى الجلاء.. عيد الأعياد...

• غياث رمزي الجرف

يومُ الجلاءِ هو الدنيا وزهوتها
لنا ابتهاجٌ وللباغين إرغامُ
يا راقداً في روابي ميسلون أفقْ
جلتْ فرنسا وما في الدار هضّامُ
(بدر الدين الحامد)

التاريخ الانساني من ألفه إلى يائه أزعم أنه قال بلا شبهة : لم يستطع أي وطن من الأوطان على امتداد المعمورة أن يدفع الأخطار والتحديات والترهيب والغزاة عنه بالتباكي والعَبَرات السخية، واستدرار عطف الآخرين، واستصراخ ضمائر الغزاة والطغاة والمستعمرين والمستبدّين...

وقال : لم يستطع ، كذلك ، أي شعب من الشعوب أن ينال حريته ويسترد كرامته ، ويحيا حياة إنسانية كريمة تليق به بالصراخ والعويل والبكاء والاستجداء والمذلة والهوان ...

(فالشعب الحيّ والأمة القوية يَنْشُدان الحرية والكرامة من مخالب الأعداء ، ويطلبان العزّة والمجد تحت ظلال السيوف ، ولا يُفكّران في أن يصلا إلى ذلك بالتواني والمَذَلّة ..) .

وسورية العربية لم تَدْحر المستعمر الباغي والغزاة الغرباء .. ولم تنل حريتها وتتخلص من نير العبودية .. إلا عندما قدّمت قوافل الشهداء .. وأراقت الدماء الزكية فوق ترابها الطاهر المقدّس ... وسارت تحت راية : كلنا للوطن.

فما أنْ تمَّ تحرير بلاد الشام من الاحتلال العثماني الظلامي الذي جثم على صدرنا أكثر من أربعة قرون ، ودخول الجيش العربي إلى دمشق عام (1918) و إعلان الأمير فيصل قيام الحكم العربي المستقل في بلاد الشام ...حتى تكالب الغرب الاستعماري على أمتنا العربية من جديد تحت عناوين زائفة ومخادعة (الوصاية ، الانتداب ، المدنية ..) ، فعملت فرنسا مع بريطانية على تجزئة بلادنا في اتفاقية (سايكس – بيكو) عام (1916) ، وإصدار وعد بلفور في الثاني من تشرين الثاني عام (1917) ، فكانا من أخطر الاتفاقيات الاستعمارية ، وأكثرها تأثيراً على المنطقة العربية حتى يومنا هذا (...) .

واحتل الفرنسيون الطغاة سورية ، ولكن أحرارها ، الذين ما قبلوا يوماً الاستسلام والعبودية.. ولا هادنوا لحظة غازياً ومحتلاً .. تصدوا بشرف وشموخ وإباء منذ اللحظات الأولى لجحافل الغزاة ، ودافعوا مدافعة الرجال عن أرضهم وعرضهم وكرامتهم بصوفية وطنية

فذّة ، وتضحيات مترعة بالبطولات والشهادة ... وسطعت ، مرة أخرى ، شمس الحرية والاستقلال ، وجلا المستعمر الفرنسي الإمبريالي عن سورية ، التي يرخص في سبيلها كل شيء ، في السابع عشر من شهر نيسان سنة (1946) .

وولد في الزمن العربي السوري عيد رايته لا تعلو فوقها أي راية أخرى .. صُبْحه ندى على جبين كل وطني حرّ .. شمسه لا تغيب .. ونوره لا يريم هو عيد الجلاء العظيم ؛ عيد العزة والمجد والكرامة الشخصية والوطنية والقومية والإنسانية ...

عيد هو في العميق من أرواح الوطنيين الأحرار وعقولهم وضمائرهم ووجدانهم وحياتهم ـ واقعياً وعملياً وحقيقة ـ عيد الأعياد وسيّدها وقبلتها على مرّ الزمان ...

نحتفي هذا العام بعيد الجلاء المجيد .. وسورية من أقصاها إلى أقصاها تمرّ بظرف تاريخي معقد وحرج وفي غاية الخطورة ، فالتحديات والمؤامرات والترهيب والدمار والدماء ، ومحاولات التجويع والتركيع تحيط بها من كل جانب .. وهي تواجه حرباً كونية همجية إرهابية تكفيرية دموية غير مسبوقة تستهدف وجودها ورسالتها وموقفها الريادي ودورها المركزي وهويتها العربية المقاومة ، ووحدة أرضها وشعبها فحلم التقسيم لا يزال يراود أحفاد سايكس - بيكو ...

ولكن الأمة التي صدَّت الغازين والمُعتدين القادمين والزاحفين إليها من أوروبة ومن الشرق؛ من الفرنجة وجماعات المغول البربرية وانتصرت عليها .. والأمة التي وضعت حداً للكيان الصهيوني في حرب تشرين المجيدة ، وفي عدوان تموز (2006) لقادرة على ردّ أيّ عدوان غاشم والانتصار عليه ، ولقادرة على استعادة الأراضي العربية المُغتصبة والسليبة من الغزاة والقوى الاستعمارية على امتداد الجغرافية العربية .. فأمتنا أمة واقفة منتصبة القامة حتى لو جهنم صُبت فوق رأسها ...

وفي حالتنا الراهنة سوف يدوّن التاريخ بدمائنا الزكية ما دوّنه بدماء أجدادنا الطاهرة :

أرض سورية العروبية الشامية الطبيعية كانت مَقْبرة للغزاة الصهاينة والمشاريع الإمبريالية الأمريكية / الغربية ، ومقبرة للرجعية العربية التي عرفت تاريخياً بدورها الوظيفي التخريبي العميل ..

وكانت مقبرة للعثمانية (الأردوغانية) المغولية التترية المعاصرة .. ومقبرة للأفكار الوهابية التكفيرية النازية ... والمنظمات الإرهابية الدموية المتأسلمة الظلامية والباغية التي قطعت الرؤوس ، وشقّت الصدور ، وأكلت الأكباد ، ونبشت القبور ، وفجّرت الأجساد والأرواح ، وفتكت بالإرث الإنساني والحضاري ، والتي مابرحت تعمل على تفكيك نسيج المجتمع السوري ، وتفتيت الدولة الوطنية ، وعلى تدمير مبرمج لكل مظهر من مظاهر الحياة الإنسانية في سورية ...

تحية شكر وتقدير وعرفان ووفاء إلى شهداء الجلاء العظيم ، وإلى كل شهداء الوطن على امتداد الأرض العربية السورية المقدَّسة ... وكل عيد وسورية الخالدة وشعبها الصامد الأبيّ بخير وأمان وسلام ...

عيد هو في العميق من أرواح الوطنيين الأحرار وعقولهم وضمائرهم ووجدانهم وحياتهم ـ واقعياً وعملياً وحقيقة ـ عيد الأعياد وسيّدها وقبلتها على مرّ الزمان ...

أرض سورية العروبية الشامية الطبيعية كانت مَقْبرة للغزاة الصهاينة والمشاريع الإمبريالية الأمريكية / الغربية ، ومقبرة للرجعية العربية التي عرفت تاريخياً بدورها الوظيفي التخريبي العميل ..

عربيٌّ أنا

•خليل النابلسي

أماه: مُذ غادرتكِ وغادرت أرضَ الوطن (الأمَ الكبرى) غادرني الفرح، وهأنذا أعيش في سجنٍ مفتوحةِ أبوابه، جدرانه سوداءُ شمسهُ ونجومه سوداء، هواؤه ريحُ السّموم. أماه دعيني أبثّكِ مشاعري وأحاسيسي، أنا تائه في صحراء بلا نهاية، لا شجر فيها ولا ماء، و البشر تماثيل حجرية، قلوبهم قُدّت من صخر، يقتلهم الظمأ إلى الطمأنينة والاستقرار يركضون ركض الوحوش الجائعة، فقدوا الروابط الأخوية وأضاعوا منهج الإنسانية حتى في الأسرة الواحدة، حياتهم جافةٌ كتراب الصحراء الشاسعة. الحياة هنا غثّةٌ باردة لا طعم لها، بل مذاقها مُرٌّ كالعلقم والنسيم مزوّرٌ، والبحر دائم السخط والهيجان، والهواء مزيفٌ، والشمس تطلُّ علينا خجلى، حتى الطيور والفراشات تطير وكأنها مخدرة الأجنحة، الجمال هنا ممسوخ ومشوه. أنا لا أستسيغ الحياة الرتيبة هنا رغم الكماليات ووفرة الحاجات، حضارتهم حضارةٌ شكلية وكأنها من الجبس أو تمثال يسير على سكة حديد. قد يغريك منظرها الخارجي، وما إن تسبري أغوارها حتى تصفعك الحقيقة، فهي خاويةٌ لا حياة ولا روح فيها . أماه افتقدتك، افتقدت بسمتك المشرقة ودعاءك البلسم الصادق، ورائحة خبزك الشهي، وحبات التمر في قعر الصحن الصغير، وكوباً من حليب، وفنجان القهوة العربية ذات المذاق السحر. لا أريد أمّاً سوى أمي العربية، ولا لغةً سوى العربية، ولا قهوةً سوى القهوة العربية، فأنا لا أعشق العيون الزرقاء أو الخضراء، عيون القطط الهاجعة، بل أعشق العيون الحوراء السوداء العربية، فقد تعمدت بترابٍ عربي، وتكحّلت عيوني بمرودٍ عربي، وتذوقت الملح العربي، والعشق العربي، وقرأت كتاب الله ولسان العرب. فأنى لي أن أنسى ؟؟ أماه ادعي لي أن أعيش تحت قدميك وفوق ترابٍ عربي ، فأنا لا أريد أن أعيشَ في بيت حجارته من مرمر ، وأنا أفتقرَ إلى جرعةٍ من سعادة.

ثقافة التنوير مشروع نهضة وإحياء

•د. يوسف جاد الحق

شعار أطلقته إدارة اتحاد الكتاب العرب الجديدة في دورته التاسعة، ومدتها سنوات خمس، أخذت على عاتقها مهمة تعميم ثقافة تنويرية، الأمة العربية في أمسّ الحاجة إليها اليوم.

لا يخفى على أحد -لا سيما المثقف المتتبع -أن كلمة (شعار) قد فقدت تأثيرها، لكثرة تداولها، من دون تحقيق فعل على أرض الواقع. غير أننا نلمس أن القيادة الجديدة للاتحاد ممثلة برئيسه وأعضاء مكتبه التنفيذي تعني ما تقول، وهي عاقدة العزم على تنفيذ ما أعلنت عنه، إحساساً منها بالمسؤولية الملقاة على عاتقها في التصدي لحمل رسالة تنويرية إلى الجيل الراهن والأجيال القادمة، بعد أن سادت حقبة غير قصيرة من الزمن عانت منها الأمة العربية غير قليل من التشتت الفكري، أفضى بها إلى الضياع في متاهات من الجهل الوبيل، ومن ثم إلى فقدان الهدف وضبابية الرؤية ثقافياً وحضارياً على كل صعيد...

ويحق للمرء هنا أن يتساءل: إذا لم تكن هذه مهمة مؤسسة ثقافية كاتحاد الكتاب العرب، ووزارة الثقافة، فمهمة من تكون..؟

لا حاجة بنا إلى القول إن (ثقافة التنوير). إنما تعني في مضمونها ومرماها (مشروع نهضة وإحياء)، وأن ضرورتها اليوم ملحة أكثر من أي وقت مضى. هي مشروع مرتقب ومرتجى كيما يقيل الأمة من كبوتها التي طال عليها الأمد، لا سيما بعد أن أخفقت مشاريع سابقة كثيرة سعت إلى الإصلاح والتنوير، وصولاً إلى التغيير والتطوير والنهوض. هنالك عوامل كثيرة يمكن أن تعزى إليها أسباب الإخفاق ليس بالإمكان عرضها في مثل هذه العجالة، وإن كان في الوسع التطرق إليها بالقدر المستطاع من الإيجاز.

لقد قامت جماعات وأحزاب وأفراد بالتصدي لهذه المهمة على

> الذين يتصورون أن التحرير يمكن أن يتحقق بالسلاح وحده مخطئون. سلاح التنوير وسلاح المقاومة، جنبا إلى جنب يبلغان الهدف المنشود.

مدى نحو قرن من الزمان، غير أنها لم تحقق غاياتها المنشودة نظراً لكثرتها وتعدد توجهاتها، وتضاد رؤاها وتناقض أهدافها السياسية خاصة، فبعد المحاولات الأولى مع بدايات القرن الماضي، على أيدي الشيخ محمد عبده والشيخ جمال الدين الأفغاني ومحمد رشيد رضا ثم حسن البنا، ظهرت تيارات متضاربة خاصم واحدها الآخر ما بين دينية وقومية، يمينية ويسارية وليبرالية مما أفضى في نهاية المطاف إلى إخفاقها جميعاً، ومن ثم سيادة ما يشبه اليأس وفقدان الأمل من إمكان تحقيق نهضة حقيقية في كل مكان في الوطن العربي، مما كان من شأنه هذا الذي يجري اليوم في هذه المنطقة من العالم، عربياً وإسلامياً على حدّ سواء.

وجدير بالتنويه أن التيار الداعي إلى القومية العربية وحده من حقق نجاحاً مرموقاً، بل استطاع هذا التيار في مرحلة ما، الوصول إلى قيام أول وحدة عربية في التاريخ الحديث بين مصر وسورية، أجهضتها (للأسف والألم) قوى استعمارية وعملاء لها ممن يحسبون على هذه الأمة. امتدت موجة المد القومي ما بين الخمسينيات إلى الثمانينيات إلى أن جاءت مرحلة ما دُعي بـ (عملية السلام) مع العدو، وعقد الاتفاقيات البائسة معه، كامب ديفيد وأخواتها وادي عربة وأوسلو وغيرها مما جرى وما يزال يجري في الخفاء في أكثر من مكان من أرض الوطن.

في يقيني أن لدى إدارة الاتحاد من الوسائل والإمكانات الفكرية والثقافية أولاً، ثم المالية والإعلامية والنشر بوسائله العديدة، هذا فضلاً عن رغبتها وحماستها وإيمانها مما يكفل لها النجاح في مهمتها التي ترقى في نظري إلى مرتبة القداسة. وليس لأحد أن يزعم بأنها مهمة سهلة لا تحف بها الصعاب والمعوقات التي

البقية ص١٥

> إذا كانت (البندقية) هي سلاح مناجزة العدو الغاصب فإن (الكلمة) هي سلاح هزيمة الجهل ومنتجاته.

نقطة على حرف

الكتاب

•أ.مالك صقور

((في البدء كان الكلمة
والكلمة كان عند الله
وكان الكلمة الله
هذا كان في البدء عند الله))
هكذا يبدأ السطر الأول من إنجيل يوحنا..
ويبدأ الخطاب الإلهي بواسطة الوحي للنبي العربي بخطابه المعروف:
إقرأ..
((إقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق.
إقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان ما لم يعلم))
ليس عبثاً أن يبدأ إنجيل يوحنا من السطر الأول قائلاً: في البدء كان الكلمة. وليس مصادفة أن يبدأ الخطاب الإلهي للنبي العربي: بـ إقرأ.
إن بداية الإنجيل، وبداية الخطاب الإلهي لهما الدلالة الكافية الوافية، الجامعة الشاملة، لقيمة الكلمة، والقراءة.. وهذا يعني فيما يعنيه قيمة الكتاب، والقلم؛ منذ البدء، ومن بداية البدايات.

***

قيل الكثير في الكتاب. وفي يقيني يعرف الجميع قيمة الكتاب، وأهميته، ودوره، ومكانته، في تطور البشرية عبر العصور، فبالإضافة إلى أن الكتاب هو الصديق الصدوق، الذي لا يخون، وهو خير جليس، وهو الجليس الأنيس، الذي يمدّك بالمتعة والفائدة والمعرفة وهو الذي لا يُملّ، ومنه لا يُملّ، فمن خلاله وبواسطته، يطوي الإنسان حكاية الحضارة، منذ بدء التكوين، وبواسطته يسافر القارئ عبر الزمان والمكان يحمله على أجنحته مخترقاً السحاب، إلى السماء، ويحط به إلى الحضيض. طاوياً بين دفتيه القرون بكل ما فيها.

ولا يضير إن ذكـرّت وذكـرّت أن تاريخ الحضارة البشرية برمتها، قد بناها المبدعون؛ من جميع أجناس المعرفة والعلوم: من فلسفة، وطب، ورياضيات، وفيزياء، وكيمياء، وهندسة. وقد سطّر هؤلاء المبدعون بناة الحضارة كل معارفهم وعلومهم، بواسطة القلم والكتاب.

ولا يضير، إن ذكـرّت أيضاً، أن لكل شيء نهاية: للإنسان نهاية، للظلم نهاية، للسعادة نهاية، للشقاء نهاية، لليوم نهاية، للشهر نهاية، للسنة نهاية، للقرن نهاية، للإمبراطوريات الكبرى والصغرى نهاية..

نعم: لكل شيء نهاية....

المعرفة وحدها: لا نهاية لها.

وحاضن المعرفة وحاملها هو الكتاب.

وهذا أمر مسلّمٌ به، وبديهي أيضاً.. لكن المطلوب اليوم، كيف نعيد تفعيل دور الكتاب، كيف نقرّبه ونحببه للأجيال الجديدة، في هذا العصر العجيب، ونجعله في متناول يد الجميع؟

***

والسؤال الذي يطرح نفسه بقوّة، في هذه الأيام: لماذا تراجع دور الكتاب، في زمن الفضائيات، وزمن الشابكة العنكبوتية، ووسائل الاتصال الاجتماعي؟ وهل تراجع فعلاً؟

للوهلة الأولى، يبدو فعلاً، وكأن الكتاب تراجع أمام الطغيان الإعلامي، والانفجار الهائل لثورة المعلومات والمعلوماتية، وذلك من خلال البث المتواصل (أربع وعشرين على أربع وعشرين) لعشرات المئات من المحطات الفضائية في كل أرجاء الكرة الأرضية، وكلها تأتي بكبسة زر بسيطة. هذا بالإضافة إلى سحر (الإنترنيت) و.و. زائد ضغط العصر، والظروف السياسية المعقدّة، والاقتصادية الصعبة، وازدياد نسبة الفقر، وانقراض الطبقة الوسطى تقريباً، والتي كانت هي الرافعة لاقتناء الكتاب، والحامل الحقيقي له.. لهذا كله، يبدو كما قلت، للوهلة الأولى، وكأن الكتاب قد تراجع أمام الأسباب التي ذكرت.

ولكن علينا، بالمقابل، أن نرى وجهاً آخر لهذه القضية. فإذا أخذنا بالحسبان، تكاثر السكان، ونسبة القراء، فيما مضى، واليوم، سنرى، أن (نسبة) القراء – هي، هي. بالنسبة للإحصائيات. فإذا ما عدنا إلى سجل دور النشر، من خلال إحصائية بسيطة في وزارة الإعلام، مثلاً، نرى أنه منذ ربع قرن، كان في الوطن العربي حوالي 600 دار نشر. بينما الآن في سورية حوالي400 دار نشر. هذا بالإضافة إلى منشورات الإدارة السياسية، ووزارة الثقافة، واتحاد الكتّاب العرب.

وإذا ما أخذنا بالحسبان أيضاً، (حسن النيّة)، بالنسبة لدور النشر، من حيث نشر الثقافة (لوجه الله)، يبقى ميزان الربح والخسارة هو الدافع لاستمرارية دور النشر الخاصة هذه.

فلو أن دور النشر الخاصة، تتعرض للخسارة، وللإفلاس، -كما يشكوا أصحابها- فمن غير المعقول أن تستمر، وهذا معروف للذين يعملون بالتجارة، سواء تجارة الكتب والمطبوعات أو أي تجارة أخرى (باستثناء خسارة وزارة الثقافة، واتحاد الكتّاب). لأن الربح ليس هدفهما.

إذن، إن ازدياد دور النشر والمطابع، دليل على أن الكتاب لم يتراجع، كما نتصور، أو يخيل إلينا.

وهنا، لابد من ملاحظة هامة، من وجهة نظري، تتلخص في أن نوعية الكتب قد تغيّرت، جراء انحسار المدّ اليساري الاشتراكي، واختفاء روائع الكتب التقدمية، وانتشار كتب الردّة، أقصد الكتب الصفراء شكلاً ومضموناً، والكتب الصفراء هذه كان لها الدور الفعّال في تغييب العقل، ومن ثم احتلاله، وغسل الأدمغة، وتشويه الثقافة، خاصة الكتب التي روّجت للوهابية، تحت أسماء وعناوين كثيرة، ونبشت الأمراض المذهبية، وأحييت النعرات الطائفية.

ملاحظة ثانية، لا بد من ذكرها، وهي تفشي الأمية. ليس بين عموم الناس، بل أقصد تفشي الأمية في صفوف المتعلمين حتى بين حملة الشهادات العالية (عفواً ومعذرةً)... لكن التبرير عن بعضهم جاهز: إن الحال الاقتصادية هي السبب. يقولون على سبيل المثال لا الحصر: كان معلم المدرسة، قدوة بكل شيء. قدوة في شراء الكتب، وحث الطلاب على شرائها، واقتنائها... فاليوم، يقوم معلم المدرسة بالعمل في عدّة مهن زائد الدروس الخصوصية، كي يتقي جائحة غول الغلاء المتوحش، فأصبح الكتاب ترفاً تجاه تأمين الرغيف، وحاجات الأطفال الضرورية. وهذا ما قصدته بانقراض الطبقة الوسطى.

والملاحظة الثالثة، وهي تثير التشاؤم، بالنسبة للقراءة، والكتاب، حين يرى المرء المقاهي، وقد اكتظت بالأجيال الشابة الصاعدة، وقد أدمنت (النرجيلة)؛ وفي الوقت نفسه، منغمسة حتى "أخمص" رأسها بأجهزة التواصل الاجتماعي، وهذا يثير الخوف، ويشجّع على القول، أن ثمة عزوفاً عن الكتاب، حتى من طلاب الجامعات.

والمطلوب اليوم، كيف نعيد دور الكتاب، كيف نحبب الأجيال الشابة بالقراءة، واقتناء الكتاب الأفضل؟

إن هذا يتطلب جهداً استثنائياً من المعلمين في الصفوف الابتدائية، والاعدادية، والثانوية، والجامعات. يتطلب تعاون منظمة الطلائع، والشبيبة، والاتحاد الوطني للطلبة، بالإضافة إلى وزارة الثقافة ومراكزها الكثيرة، كذلك، اتحاد الكتاب وفروعه في المحافظات.

فهل يتوفر مثل هذا الجهد الاستثنائي من الجهات التي ذكرت إلى تعميم قيمة الكتاب، وأهميته، ودوره، وهل تتضافر الجهود من أجل ذلك؟ لاسيما، ونحن نسعى إلى ثقافة التنوير، تنوير من وقعوا في أحابيل الظلام، وسقطوا ضحية التضليل الإعلامي الظلامي التكفيري الإرهابي!!

وأخيراً، قال جدنا العظيم أبو الطيب:

أعز مكان في الدنى سرج سابح
وخير جليس في الأنام كتاب

القدس وعملية التهويد

• زبير سلطان قدوري

تشير معظم المصادر التاريخية والكشوف الأثرية بأن تاريخ نشوء القدس يعود إلى خمسة آلاف عام ، وأن العرب اليبوسيين أول من بناها ، واليبوسيون هم كنعانيون قدموا من الجزيرة العربية مع بداية الألف الثالثة قبل ميلاد السيد المسيح ، وأكد على ذلك المؤرخ الأمريكي أولبرايت الذي قال: (لدينا من البراهين والأدلة ما يثبت أن الكنعانيين استقروا في القدس وفلسطين منذ أوائل الألف الثالث قبل الميلاد ، ونحن نعرف ذلك جيداً من خلال أسمائهم ولغتهم ؛ واليبوسيون هم من الكنعانيون). وقال العالم اللغوي الإيطالي / فرانزار وللي / : (إن القدس هي من أقدم المدن في العالم ، وكانت ثقافتها ولغتها عربية ، وقد أطلق عليها بناتها في الألف الثالث قبل الميلاد اسماً كنعانياً قديماً هو (أور سالم) أي (مدينة السلام) . ولقد استمر التواجد اليبوسي في القدس حتى عام 1010 ق .م ، وقد شهدت التوراة على ما كان يتحلى به ملوكهم من الصدق والأمانة والأخلاق الحميدة ، وذكرت منهم (ملكي صادق) ، الذي حكم القدس مابين القرن العشرين والقرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وأطلقت عليه / ملك شالم / أي (ملك سالم).

وكان القدماء المصريون يطلقون على القدس اسم (يابثي Yabthi) ، والذي اشتقوه من اسمها الأصلي (يبوس) وكلمة القدس أي المقدس: المنزه ، وبيت المقدس يعني: (المطهّر الذي يتطهر به المتعبد من الذنوب) ، وذكر الزجّاج: القدس: تعني التطهر ، فقال: (ومن هذا قيل للسطل القَدَس ، لأنه يُتقدس منه أي يُتطهر) وقال: (ومن هذا بيت المَقدس) وضبطه بفتح أوله وسكون ثانيه وتخفيف الدال وكسرها ، وقال قتادة : (المراد بأرض المقدس أي المبارك).

والبيت المقدس يعدّه المسلمون المكان المقدس الثالث لديهم بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا والمسجد الحرام ومسجد البيت المقدس) . ومن القدس عرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء، ومنها رفع عيسى بن مريم عليه السلام إلى السماء، إنها بوابة الأرض إلى السماء.

وإلى مسجدها الأقصى هرب الناس في 23 من شعبان سنة 492 من سيوف وسكاكين ورماح الفرنجة، فقتلوا فيه ما يزيد على سبعين ألفاً من المسلمين، ونهبوا كل محتوياته، كما تفعل داعش اليوم في الأماكن المقدسة للمسلمين والمسيحيين وغيرهم وفي الأوابد التاريخية وتراث العالم الإنساني. وحول الفرنجة المسجد إلى مأوى للخنازير، وبقيت القدس أسيرتهم حتى حررها صلاح الدين الأيوبي في سنة 583 هـ.

عمليات تهويد القدس

منذ احتلال شرقي القدس في 7 حزيران 1967 بدأت عمليات التهويد المنظمة من قبل الحكومات الصهيونية سواء أكانت عمالية أو ليكودية ، وتتم وفق برامج استراتيجية وتكتيكية ، تتابع وتنفذ دون النظر إلى الشكل السياسي للحكومة. فأول من بدأ بالخطوة الأولى للتهويد كانت الحكومة العمالية التي كان يرأسها ليفي أشكول زعيم حزب العمل، وهي الحكومة التي شنت عدوان حزيران على مصر وسورية والأردن .

حيث أعلنت حكومة أشكول على لسان وزير داخليتها موشيه شابيرا في 28 حزيران 1967 ضم القدس العربية إلى القدس الغربية (اليهودية) ، وانسجاماً مع هذا القرار أعلنت بلدية القدس عن توسيع حدودها ، فصادرت (116) دونماً من أحياء القدس الشرقية لإقامة الحي اليهودي الجديد ، ثم أقدمت على هدم الحي العربي (حارة الشرف – المغاربة)، وعملت على تهجير سكانه العرب خارج مدينة القدس ، ومن ثم بعد فترة قليلة جرى توسيع الحي اليهودي من خمس دونمات إلى (130) دونماً . وبموجب هذا القرار وسعت بلدية القدس الصهيونية دائرتها الجغرافية فيها ، مما أدى إلى تدفق قطعان المستوطنين إلى المدينة المقدسة، ليقطنوا في الحي اليهودي الجديد، وما هي إلا بضعة أشهر على الاحتلال حتى بلغ عدد سكانه (2300) يهودي .

وفي العام التالي للاحتلال / 1968/ توالى الزحف السرطاني الاستيطاني التهويدي للقدس ، فصادرت بلدية القدس الصهيونية (3345) دونماً من أراضي الشيخ جراح ، ووادي الجوز، وأرض السمار من أجل بناء كتل استيطانية يهودية، فحقق الصهاينة إغلاق المنافذ الشمالية والغربية

> القدس اليوم تكاد تعلن مدينة يهودية كاملة في وقت يطحن العرب بعضهم بعضاً، ويوظفون مالهم وسلاحهم وسياساتهم في تدمير دول الطوق.

للقدس العربية، بعد أن أقامت مستوطنة / معلوت دفنا / على أراضي الشيخ الجراح ، على مساحة تبلغ (307) دونمات ، وتضم (240) وحدة سكنية. كما بنيت مستوطنتان هما / غفات همفتار / و/ رامات إشكول / على أرضي البياض والمنطقة الحرام بحدود (2200) وحدة سكنية ، وضع فيها (6600) مستوطن يهودي .

ومن ثم بنيت مستوطنة يهودية على أراضي اللويز وأرض السمار، والتي ضمت خمسة آلاف وحدة سكنية يسكنها (6500) مستوطن صهيوني، وبلغت مساحتها (961) دونماً. لذلك نرى من عام 1968 أن تلك المستوطنات الصهيونية أحكمت بالطرق الخارجية المؤدية إلى القدس، وخاصة الشارع الممتد إلى مدينة رام الله. لقد تم توسيع حدود القدس لصالح عملية التهويد ، بغية زيادة مساحة القدس عشرة أضعاف ما كانت عليه قبل الاحتلال ، فقد كانت مساحتها قبل عدوان حزيران عام 1967 تبلغ (6،5) كيلو متر مربع ، لتغدو بعد عام 1967 نتيجة بناء المستوطنات الصهيونية ، لتصل إلى (70،5) كيلومتر مربع .

وتتابعت عمليات التهويد السريعة بعد عام 1970 ، فصودرت من أراضي القدس ومن حولها (11780) دونماً ، لتبنى عليها كبريات المستوطنات في القدس العربية ، بهدف استكمال تطويق خاصرتها الشمالية الشرقية ، حيث تم بناء مستوطنة / نفي يعقوف / على مساحة 470 دونماً ، ومستوطنة / راموت / على مساحة 4840 دونماً . كما تم الالتفاف على المنطقة الجنوبية بمستوطنة / تاليبوت / الشرقية ، التي أقيمت على أرض للمقدسيين تمت مصادرتها بمساحة تبلغ 2240 دونماً ، ومن الجهة الجنوبية الغربية بنيت مستوطنة / غيلو / على مساحة 2700 دونم ، وفي باب الخليل أخذ من حي الشماعة مساحة 130 دونماً ،ومن وادي الربابة 100دونم ؛ لبناء مستوطنة قرية / داود / .

وعام 1980 تمت مصادرة 4400 دونم من قريتي بيت حنينا وشعفاط ؛ لبناء مستوطنات تكمل الطوق على القدس ، حيث بنيت مستوطنة / بسغاف زئيف / على مساحة 1150 دونماً ، ومستوطنة/ بسغاف عومر / على مساحة 1700 دونم . ونتيجة عمليات التهويد المنظمة والمبرمجة خلال عقدين من الاحتلال الصهيوني ، تمت مصادرة ما مساحته 24 كيلومتراً مربعاً من أراضي القدس ، أي ما يعادل 33 % من مساحتها ، وبذلك ارتفع أعداد الصهاينة في القدس العربية خلال سنوات قليلة؛ من الصفر إلى (180) ألفاً ، وبهذه العمليات التهويدية ، حدث لأول مرة في تاريخ القدس العربية ، أن يشكل اليهود الغالبية في المدينة المقدسة.

ومع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى ، وضعت الحكومات الصهيونية خططاً جديدة لعمليات تهويد القدس، والاستمرار في الاستيلاء على الأراضي داخل القدس ، واستكمال تطويق المدينة المقدسة بالمزيد من المستوطنات الصهيونية ، تحقيقاً لهدف صهيوني ؛ سعى إلى أن يصل عدد سكان تلك المستوطنات إلى مليون يهودي صهيوني. وتابعت حكومة حزب كاديما برئاسة يهودا أولمرت التهويد ، فأعلن من بعد توليه رئاسة الحكومة على أنه قام بإعداد ثلاث خرائط لاستكمال تهويد القدس، من إطلاق مشروع تهويدي جديد أطلق عليه اسم /خطة الانطواء/ ، والذي يتضمن التخلص من أكبر نسبة من السكان الفلسطينيين في ضواحي القدس وبلداتها وقراها ، وإخراجهم مما سمي بالقدس الكبرى ضماناً لتحقيق أغلبية يهودية مطلقة فيها، على الرغم من أن مؤشر التعداد السكاني في القدس، يقول أن الكفة أصبحت تميل لصالح اليهود ، فقد بلغت نسبتهم 66% والعرب 34 % .

وفي العقد الأول من عام 2001 ، جرى تنفيذ سياسة أخرى للتهويد ، فإضافة إلى استيطان اليهود ؛ العمل على إخلاء القدس من العرب . سياسة تقوم على تهجير الفلسطينيين بالتدريج . ومع بداية عام 2009 تم إخراج / 36/ عائلة فلسطينية من منازلها في حي العباسية في بلدة سلوان الواقعة جنوب القدس، بحجة هدم بيوتهم غير المرخصة من البلدية. مما رفع عدد البيوت الفلسطينية المنذرة بالهدم إلى /179/ بيتاً ، كما أنذرت البلدية / 55/ عائلة فلسطينية في حي شعفاط شمال القدس بالخروج من منازلهم لهدمها ، بذريعة أن البناء من دون ترخيص ، كما أنذرت / 88/ عائلة في حي البستان في بلدة سلوان للخروج من بيوتهم للحجة نفسها.

وقد ذكر تقرير لمركز القدس للحقوق الاجتماعية والاقتصادية صادر في الأول من آذار 2009 : أن عدد المنازل المهددة بالهدم في القدس منذ مطلع العام الحالي 2009 بلغت /200 / منزلاً ، موزعة كالتالي : 88 منزلا في حي البستان ويسكنها /1500/ مقدسي ، و/55/ منزلاً في مخيم شعفاط يقطنها /500/ مقدسي، ونحو /35/ منزلاً لعائلات بدوية ، تقطن على امتداد طريق القدس – أريحا ، يضاف إليهم /66/ شقة سكنية في بلدية العيسوية . ومع الأيام الأولى لتشكيل الحكومة اليمينية المتطرفة برئاسة نتنياهو زعيم حزب الليكود ، أعلنت وزارة الإسكان في حكومة بنيامين نتنياهو بأنها تخطط لبناء أكثر من /73/ ألف وحدة سكنية جديدة في القدس والضفة الغربية على مراحل .

وكتب الصحفي الصهيوني جدعون ليفي عن مخطط تهويد القدس قائلاً : (.. كانت أول خطوة على هذا الصعيد هي: هدم حارة / المغاربة / ، وحارة / الشرف / في داخل البلدة القديمة ، وإقامة الحي اليهودي في داخل البلدة القديمة، التي تبلغ مساحتها كليو متراً مربعاً . وقامت بإنشاء ألفي وحدة سكنية داخل البلدة القديمة ، ثم بدأت الأحزمة الاستيطانية في داخل وخارج البلدة القديمة ، وداخل الحدود الموسعة لمدينة القدس ، بحيث تمت إقامة /15/ مستوطنة إسرائيلية ، وأقصد هنا " المدن الإسرائيلية داخل الأحياء الفلسطينية " ، يبلغ سكانها الآن تقريباً / 180 / ألف نسمة .

وأول أسلوب اتبعته إسرائيل كان الأسلوب الجغرافي وهو مصادرة الأرض . وبالتالي منذ عام 1967 إلى عام حتى عام 1999 تمت مصادرة 35% من مساحة القدس بذريعة المصلحة العامة وهو ما يعادل /24/ كيلو مترا مربعاً من مساحة / 72/ كيلو متراً .

ثانياً – الناحية الديموغرافية كان عدد السكان اليهود عام 1967 صفراً ، اليوم 180 ألفا ، إذن كيف تم ذلك ، أول شيء بناء مستوطنات ، وبناء مستوطنات على الأراضي التي تمت مصادرتها فتم بناء /45/ ألف وحدة سكنية .

ثالثاً – تهجير الفلسطينيين من داخل القدس عن طريق عدم منح الفلسطينيين رخصاً للبناء . وهذا يتم من خلال مجموعة من العناصر الضاغطة ، والمقيدة للفلسطينيين ، من أجل الخروج من داخل حدود البلدية إلى خارج البلدية.

الأمر الآخر : وهو تنظيم البناء .. فلا يسمح للفلسطيني أخذ رخصة بناء داخل المدينة ، أو أن يبني بأكثر من ثلاث طبقات ، والدليل على ذلك ما يتم بناؤه في رأس العمود بالنسبة لليهود حوالي 115% من مساحة الأرض ، أو ما يعادل حوالي /6/ طبقات، بينما لا يبعد الفلسطينيون عنه حوالي / 10 / أمتار لا يسمح لهم بالبناء بأكثر من 50% وهو حوالي طبقتين .

والقدس اليوم تكاد تعلن مدينة يهودية كاملة في وقت يطحن العرب بعضهم بعضاً، ويوظفون مالهم وسلاحهم وسياساتهم في تدمير دول الطوق، التي قاتلت وناهضت المشروع الصهيوني كسورية والعراق وحزب الله والمقاومة الفلسطينية، ويمدون يد العون للكيان الصهيوني من خلال تعاونهم معه في تنفيذ مشروعهم التدميري ، ويتجاهلون عمداً تهويد عروس عروبتهم ، وأقدس وأطهر أراضيهم.

سورية..وحدة الأرض والشعب

•د. أحمد زياد محبك

يضطر المرء أحياناً إلى التذكير ببعض البديهيات، لأنها في الحقيقة، عمدة الحياة، ومنطلقها، وقد يضطر إلى تكرارها بسبب ما يستجد أيضاً من ظروف، وما يطرأ من مخاطر، ومن ذلك مفهوم وحدة الأرض والشعب، وهو مفهوم بدهي، ولا سيما في سورية، لا تقوم أي دولة من دونه، ولا تتحقق سيادتها إلا بوحدة الأرض والشعب، ذلك لأن لكل دولة شعبها وأرضها، ولا بد في الأرض من التنوع والتباعد والاتساع والاختلاف ما بين سهل وجبل وصحراء وبحر ونهر، ولا يمكن أن يكون بين هذ البقاع من حدود أو فواصل، بل لا بد من أن يكون بينها سبل اتصال وتواصل، كذلك لا تتحق سيادة الدولة، بل لا يتحقق مفهومها، إلا بوحدة شعبها، ولكل دولة شعبها، ولا يمكن لأي شعب في أي دولة أن يكون من عرق واحد أو جنس واحد أو دين واحد أو مذهب واحد، لأن الدولة في الحق لا تقوم على أساس من عنصر أو جنس أو عرق أو دين، وإنما تقوم الدولة في الأساس على تنوع الشعب واختلافه وتعدده في اللون والعرق والجنس والدين والمذهب والعادات والثقافات، ومن هنا لا بد من وحدة الشعب ووحدة الأرض ليتحقق مفهوم الدولة.

إن ساكن الجبل المنتج للزيتون يحتاج إلى زارع الحقل المنتج للقمح، وساكن البادية الذي يرعى الغنم وينتج اللبن ومشتقاته يحتاج إلى ساكن المدينة المنتج للثياب والدواء، وهكذا، فإن كل بقعة من بقاع الدولة تحتاج إلى البقعة الأخرى وتتكامل معها، والأجزاء كلها تشكل وحدة متكاملة، العلاقات فيها بينها تجعلها أكبر من مجموع الأجزاء وهي التي بهذا الاتحاد تشكل الدولة.

ذلك أن الشعب ليس مجرد مجموع الأجناس والأعراق والمذاهب والأديان والثقافات بل إن الشعب في الحقيقة هو ما بين هذه الأنواع والأشكال من تواصل وعلاقات تصنع في تفاعلها الإيجابي والبناء مفهوم الشعب، ذلك أن الكل في الحقيقة أكبر من مجموع الأجزاء، وهذه بديهية أخرى لا بد من تكرار التذكير بها.

إن السيارة على سبيل المثال ليست مجرد مجموع العجلات والمقود والمقاعد وخزان الوقود والمحرك والمبرّد وما إلى ذلك من أجزاء ميكانيكية، فلو جمعناها كلها في مكان واحد لما شكلت سيارة، ولو جعلنا كلاً منها في مكانه الصحيح لما كانت أيضاً السيارة، إنما هي مجرد آلة، إنما تكون حقيقة السيارة عندما يدخل فيها السائق ويقودها، أي عندما تتَّحد عناصرها وتتفاعل وتعمل كلها بتعاون وتآزر وتماسك وانسجام ويؤدي كلٌ وظيفتَه في خدمة الوظيفة الأساسية والرئيسية وهي

> الشعب في سورية واحد وموحد بانتمائه إلى تاريخه وارتباطه بأرضه وتطلعه إلى مستقبله وتلاحم مكوناته وأطيافه كلها، وهو يرفض كل أشكال التفرقة أو التقسيم، ولا تناسبه الفيدرالية ولا الكونفيدرالية.

> سورية في الواقع تُحقق مفهوم الدولة بوحدة شعبها بأطيافه وأديانه ومذاهبه وعاداته وثقافاته كلها، بما فيها من تعدد وتنوع، بل بما قد يكون فيها من اختلاف، والاختلاف سنة الحياة وشريعتها.

سير السيارة، عندئذ نكون أمام سيارة.

وقديما قال أبو العلاء المعري

وَالناسُ بِالناسِ من حَضرٍ وَباديَة
بَعضٌ لِبَعضٍ وَإن لَم يَشعُروا خَدَمُ

والأمر لا يتعلق بشاهد من الشعر، أو بتشبيه بلاغي، إنما يتعلق بحقيقة واقعة، في العالم كله، لا تحتاج إلى برهان، وهي تتجاوز أيضاً مفهوم التكامل الاقتصادي والتعاون والتبادل، إلى مفهوم حقيقي للوحدة: أرضاً وشعباً.

وكذلك الدولة، هي الشعب بكل مكوناته وأطيافه، وبكل ما بينها من علاقات ووظائف وأعمال مترابطة متوحدة تعمل في خدمة تحقيق مفهوم الدولة وإقامتها، عندئذ تكون الدولة، أما عندما يسعى كل طيف أو مكوِّن إلى تحقيق ذاته منفرداً فعندئذ تتفكك الدولة وتسقط.

وما من دولة في العالم ذات شعب واحد، أي ذات عرق واحد أو جنس واحد أو دين واحد، في كل دولة في العالم شعب فيه أجناس وأعراق وأديان وثقافات وعادات متنوعة ومختلفة، هذه هي حقيقة الدولة، وفي داخلها يعيش المواطنون متساوين في حقوقهم المدنية، ولا فضل لأحد على أحد إلا بخبرته وموهبته وكفاءته واختصاصه، مهما كان عرقه أو لونه أو دينه أو شكله.

وادعاء الكيان الصهيوني أنه دولة عبرية على أساس ديني هو مجرد محاولة لتبرير وجوده الاستعماري الاستيطاني، وهو وجود غيرشرعي، حتى الادعاء نفسه لا يلقى القبول من جميع اليهود في الكيان نفسه، بالإضافة أن اليهود المتجمعين في داخل ذلك الكيان ينتمون إلى دول وشعوب وعادات مختلفة، بل إن فيهم اليهودي المتشدد واليهودي العلماني، وفيهم الملحد، ولا ننسى أن أكثر من مليون ونصف المليون من الشعب الفلسطيني يعيش تحت الاحتلال الصهيوني، وعلى هذا فليس الكيان الصهيوني دولة عبرية كما يريد أن يزعم.

قد نجد حالة واحدة فيها شعب واحد، ينتمي كل أفراده إلى دين واحد وعرق واحد وثقافة واحدة واحدة، وهو في الحقيقة بعض المجتمعات القبلية المتخلفة في قلب إفريقية، ونحن في هذه الحالة أمام قبيلة، ولسنا أمام شعب، ونحن أمام تجمع بشري، ولسنا أمام دولة.

وقد يحتج أحدهم هنا فيذكر دولة الفاتيكان، فمواطنوها كلهم من جنس واحد ودين واحد، وهي دولة ذات أرض وسيادة، ولكن أفرادها ينتمون في الأصل إلى دول مختلفة وشعوب مختلفة، وأكثرهم إيطاليون وسويسريون، وفيهم ألمان وإنكليز وفرنسيون

البقية ص١٥

● د.حسن حميد

مكاشفة.. فحسب!

أسأل،

وقلبي يدق في اتجاهات عدة، هل يقوى من يمتلك عينين وقلباً وعقلاً أن يعادي وسائل الاتصال الحديثة على اختلاف مسمياتها، أو أن يصدّ عنها، أو أن يتخطاها، أو يحيّدها؟!

لا أظن أبداً!

لأن فعلاً أخرق مثل هذا، سيؤدي (لا شك) إلى حال من الأمية، والجهل المعرفي، وعدم التواصل، وغياب الوعي بأهمية تلاقي الأجيال وتفاعلها، وبهذا الفعل أيضاً، ستقف أمام أي مبدع قطيعةً معرفيةً مثل سور عريض عالٍ مهاب!

وسيؤدي كذلك إلى تجاهل مدونات ثقافية جديدة، بله ومعرفية على غير صعيد وعلم واتجاه باتت موجودة، ومعلّقة على وسائل الاتصال الحديثة، ولا غنى عنها لأي أديب أو مثقف، ولا سيما أن هذه المواقع باتت تشكل معيناً مهمّاً للأدباء والكتّاب وأهل المواهب والفنون من أجل المزيد من الإحاطة، والشمولية، وعدم الغفلة أو السهو أو الارتجاج المعرفي! ولأن وسائل الاتصال هذه تقوم اليوم، بما كانت تقوم به المعاجم، والمراجع، لا بل باتت تقوم بدور المصادر أيضاً، لأن الكثير من أهل الكتابة والمعرفة جاهروا مراراً بالأخذ عنها، ولا سيما حين تكون الكتابات عالقة على المواقع، أو معلّقة عليها، وهي خلو من الأسماء، والحق، كثيرة هي المواد المغفولة من التوقيع، المعروضة والمعرضة للأخذ والاستحواذ، وهذا الأمر ما عاد سرّاً، أو ذنباً، أو مجالاً للملاومة!

لكن، هل باتت هذه المواقع الالكترونية الحديثة، بمسمياتها كلها، هي الثقافة؟! أو أنها هي الكتاب الأوفى الذي يراجعه أهل الرأي والكتابة والفنون يومياً، أو يستشيرونه، كما لو أنه بات مرآتهم؟! أو أنها غدت (الساحرة) التي تستنزف أوقاتهم وتمتصّها أو تسيطر عليها ساعات وساعات يوماً، تحت يافطة، راح أهل المعارف والثقافة يكبّرونها ويوسّعون من ضفافها لأنها استمالتهم؛ أكدت أقول، لأنها جذبتهم واستولت عليهم؟!

بالبساطة الكاملة، والجرأة الكاملة ايضاً، أقول إن مواقع الاتصال الجديدة (الحديثة بالطبع) شأنها شأن الصحف والمجلات حين اشتعل الاهتمام بها إلى حدّ غدت هي العلامة المميزة للمثقفين والأدباء والفنانين، ناهيك عن السياسيين والاقتصاديين، حين ارتبطت الصحيفة بالصباح، والقهوة، و(القعدة الرواق)، أي حين غدت المواد التي تنشرها الصحف المهاد الأول لكل عمل ثقافي، أو لنقل حين صارت المحّرض الأول على الكتابة والإبداع! وشأنها أيضاً شأن الفنون الأخرى مثل السينما، وما عملت عليه من شدّ للانتباه والجذب للذوات المثقفة، وكذلك كانت حال المسرح، والمعارض الفنية للوحات والمنحوتات.

إنها، أعني وسائل الاتصال الحديثة، إبداع بشري جديد لابدّ من الاحتفاء به، وتقدير ما يقدمه من خدمات، ولعل في رأسها التواصل مع الآخرين، وإعادة الارتباط مع الآخرين، وعلى نحو مذهل من السرعة والتلبية، ولابدّ من نسج علاقة معها كي لا يبقى المرء وحيداً خارج دائرة التفاعل الثقافي، والاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، أنا لست مع الوحدة، أو العزلة، حتى ولو كانت بجمال حقل من القمح المحتشد بالشقرة الآسرة، الوحدة ضرورية عندما يختلي الكاتب بأوراقه وأفكاره، وبنات إبداعه، لكنها مضرة وموجعة حين يتحيّد الكاتب معطيات الحضارة التي فيها اجتماع الخلق!

محرضات وسائل الاتصال الحديثة من أجل الكتابة والإبداع كثيرة، ومهمّة، فحين يرى المرء كتاباً صادراً، أو مجلة محتشدة بأسماء مبدعين، أو جائزة أدبية مرموقة ظفر بها أدباء لهم رتبهم ومقاماتهم.. يسعى لأن يكون من بين هؤلاء، ومن شركائهم في الفرح الثقافي، ومن أهل الخبر أو الحادثة الأدبية أو الثقافية!

ولكن أن تغدو وسائل الاتصال الحديثة هي كل المرجعية للكاتب والمثقف والفنان.. إلخ، فهذا هو الأمر الخطير! وهذا هو الانحراف الثقافي الذي لا يريده عاقل! لعلة هي إن مما هو موجود عل هذه المواقع لا يغني عن الكتب والمكتبات، صحيح أن الكثير من الكتب معلقة على هذه المواقع ولكنها تظلّ قليلة حين نتحدث عن الاختصاصات، وحين نتحدث عن الأجناس الأدبية بسيروراتها الزمنية الماضية، مثلاً: هل ما كتبته أجيال الخمسينيات والستينيات والسبعينيات (وربما الثمانينيات) معلق على هذه المواقع؟! لا أظن! ولهذا فإنني أقول إن حق أي مبدع طالع أن يعود إلى قراءة التجارب الإبداعية السابقة عليه، في بلده، ومحيطه، وفي العالم معاً!

وددت أن أقول، وباختصار شديد، إن ما هو موجود على مواقع التواصل هو اختيارات، وتوجهات، بنسبة قد تصل إلى 90%، ولهذا فإن من يريد الاطلاع على ما تنشره هذه المواقع يعرف جيداً أنه يقرأ ما اختاره الآخرون (أفراداً أو جهات)، وذلك الاختيار هو جزء ثقافي من الكل الثقافي الذي تجول به التجارب والأزمنة والأمكنة والمواهب مثلما تجول الرياح بأوراق شجر أيلول!

هذا أمر، أما الأمر بالسعة والحرية المواقع، فالمرء إن أنثوي أو ذكري، ما يشاء من خير وغير أخلاقي، وهذه إلى العقلانية! أما والمخاوف، فهي هذه المواقع، فهي ومستحوذة، وفتّاكة لأوقاته، ونظره، .. الآخر، فهو متعلق التي توفرها هذه تخفى وراء اسم يستطيع أن يقول وشر، ومن أخلاقي ميزة ولكنها تحتاج الخطورة، والخشية، نابعة من طبيعة جذابة، ونشّابة، بالمرء، وسالبة والخطورة كامنة أن يصير التواصل مع الآخرين، والاطلاع على أخبارهم، والهتاف لهم، أو ما يقابله من أضداد، هو كل الدائرة الثقافية التي يتحرك فيها أهل الرأي والتعبير! وهذا إن حدث، فما له خطير وخطير جداً، لأن النزوع إلى القراءة، والاغتناء بثقافات الآخرين الحقيقية سيغيبان لا محالة.

دعوة

تدعو (الأسبوع الأدبي) الأدباء الزملاء الأكارم إلى الكتابة في ملف
(الأسبوع الأدبي)
الذي سيصدر في العدد القادم تحت عنوان:
الوطن، الشهادة، الفداء

إن ما تقدمه مواقع التواصل من معطيات ثقافية هي معطيات بسيطة، وسريعة، وليس فيها من الرواء والعمق ما يحرض المرء للارتقاء إلى عالم الفذاذة والسرانية وما فيها من جمال وبقاء، وتعب مدوّخ!

بالطبع، أنا لا أخاف على أصحاب القلوب الجسورة من أهل التعبير، وإنما أخاف على أصحاب القلوب الرهيفة فقط، من خطورة هذه المواقع، وقولي ليس سوى مكاشفة فحسب!

Hasanhamid55@yahoo.com

الثالث والعشرون من نيسان... يوم الكتاب...

• فلك حصرية

أنا أقرأ.. إذاً أنا أفكر...
ما من أمة صادقته... إلا وطردت التخلف ولفحتها رياح التغيير والتطور...
هو الكتاب.. مركز اشعاع ثقافي، فكري تاريخي...

تمهيد:

يُقال خير جليس... وأفضل مدرس، وأعظم معلم، وأروع فيلسوف صامت، وخير نافذة..

مؤنس ليس كمثله مؤنس، وجليس لا يجاريه آخر، وناصح لا يماثله شبيه، ومحرك للمشاعر، والأحاسيس، والأحلام، والخيال، بيسر وسهولة تستطيع أن تجذبه إليك، فيطيع رغبة القراءة لديك، ويمدُ جسور الرغبة في تواصل وسعادة ليربط بين جموحه العلمي والتاريخي والثقافي والأدبي وبين تعطّش القارئ، وشوقه للغرف من ماء سلسبيله، وخلاصة تجاربه، ورحلة فكره، ومغزى حضارته...

تخاصمه فيصالحك، ويدعك تجرب، وتفكر، وتبوح وتصمت وتختبر، وتحلل، وتزن الأمور بموازين بعيدة عن في ء ظلاله، وثمار أغصانه، حتى إذا ما أعياك التخبط، وتهت في دروب التردد وواجهتك بوابات الوهن والتشتت ناداك بحنو ولطف: أن عد فلن يكون هناك جفاء الهجران، وانتقام الفراق، وعذابات المدّ والجزر المتأرجح ما بين الرغبة والإحجام، والمحبة والكراهية... ويضيف: لا تستغرب أيها القارئ ففيّ أنا كنوز لا تعادلها كنوز، ومعارف لا يجاريها معارف وتشير إليك رفوف كنوزه أن في بطون صفحاتي قصصاً وروايات تحرك فيك الوجدان، وعبرا ونصائح وعظات... وتجارب وأحداثاً تدغدغ فيك التصحر المعرفي، فتستحيل واحات خضرة غناء لتذكر باستنكار:

"هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟!"

خير جليس... ونعم الحكيم:

هو ذا الكتاب الذي يفتح في الثالث والعشرين من نيسان، أبواب كنوزه معاتباً هجرةً ارتضيناها معه، وهجرات معرفة أمعنا في الفراق طويلاً بين متاهات كلمتها فيضعف الجواب ويطفو عدم التسليم بتخصيص تاريخ لنزع فتيل القطيعة معه في يوم واحد، ولا يلبث أن يأتي الجواب سريعاً: أمة لا تقرأ... أمة إلى زوال..

ولو اقتربنا أكثر إلى هذا الجليس والأنيس لوجدنا جمع الكتاب: الكتب وهي كما ورد لغوياً: أوعية المعلومات غير الدورية، والتي بطبيعة محتوياتها وتنظيمها، وضعت لتقرأ من أولها لآخرها في تتابع منطقي، ولكل منها عنوان محدد حتى ولو صدرت مجتمعة تحت سلسلة ما، وللكتب أنواع كما جاء، فمنها المرجعية التي بطبيعة محتوياتها، وتنظيمها لم توضع لتقرأ وإنما للرجوع إليها عند الحاجة رغبة في استقاء معلومات معنية كالقواميس، ودوائر المعارف، والأدلة والببليوجرافيات وغيرها.

إلى جانب أنواع أخرى من الكتب التي نطل من خلالها على دائرة الفنون والثقافات والعلوم.

لقد اشتهر الجاحظ بشغفه بالكتب، فسَطر أعذب النثر حيث يقول:

" والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك، والصديق الذي لا يقليك والرفيق الذي لا يملّك، والمستميح الذي لا يؤذيك، والجار الذي لا يستبطئك، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق، ولا يعاملك بالمكر، ولا يخدعك بالنفاق"

ويضيف:" والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطال إمتاعك وشحذ طباعك، وبسط لسانك، وجوّد بيانك، وفخمَّ ألفاظك، وعمر صدرك، وحباك تعظيم الأقوام ومنحك صداقة الملوك".

ولعلنا لم ننسَ ما قاله أبو الطيب المتنبي شاعر الفروسية والقلم:

"أعَز مكان في الدُنا سرج سابح
وخير جليس في الزمانَ كتابُ"

ويقول أحد الفلاسفة:

"الكتب سعادة الحضارة، وبدونها يصمت التاريخ، ويخرس الأدب، ويتوقف العلم، ويتجمد الفكر والتأمل"

في البدء... كان الكتاب:

إن ما نعيشه اليوم من التغيير والتطور الذي طرأ على الكتاب ما هو إلا نتاج رحلة طويلة قطعها وحط فيها أخيراً ضمن إطار التطور التكنولوجي، فيقترن بـ الكتاب الالكتروني الذي سيشهد انتشاراً واسعاً، وفضاءً رحباً، مع تقدم الزمن، وتطور العلم.

فقديماً ومع التطور التاريخي الذي شهدته الحياة الإنسانية وتداخل المجتمعات بعضها ببعض، والترابط فيما بينها، وجد الإنسان القديم نفسه غير قادر على التفاهم مع غيره من المجتمعات، الأمر الذي دفعه إلى بذل قصارى جهده وصولاً إلى إيجاد وسيلة تمكنه من التواصل مع المجتمعات الأخرى، وبالتالي تحقق له التفاهم والتعامل معها، فكان لا بدّ من اختراع الكتابة التي سيستطيع من خلالها حفظ نتاجه الفكري، وتراثه الحضاري- الثقافي والعلمي بعيداً عن الضياع والاندثار.

والواقع أن الكتابة مرت بمراحل عدة شهدها الزمن قبل أن تبلغ السهولة والقبول في الاستخدام، حيث بدأت على شكل صور تحمل وتدل على معان ومدلولات حسية ومتداولة في الحياة اليومية، وقد تمّ العثور على بعض النقوش والصور في كهوف / لاسكو/ في فرنسا و/ التميرا/ في اسبانيا. وقبل حوالي /5500/ سنة، وبالتحديد مع الحضارة السومرية وجدت نقوش ورموز تدل على تطور الكتابة عندهم، حيث عرفت كتاباتهم بالمسمارية أو الإسفينية، وكانت بداية عبارة عن صور توحي -تماماً- عما رسمت، وفي مرحلة أكثر تطوراً وتقدماً برزت الصور الرمزية التي توحي بمعنى معين حيث تم العثور على حوالي /2000/ صورة رمزية وواقع الحال، فإن هذه الصور ذات الدلالات الرمزية كانت صعبة الفهم لدى عامة الناس، ليتم الإسراع في استعمال رموز توحي بأصوات معينة، فتكون حجر الأساس في أولى الخطوات نحو تطوير الكتابة.

> هو الجليس الذي لا يطريك، والصديق الذي لا يقليك والرفيق الذي لا يملّك، والمستميح الذي لا يؤذيك، والجار الذي لا يستبطئك.

ومع قدوم الفينيقيين، سكان السواحل الشرقية لحوض البحر الأبيض المتوسط وفي حوالى/1100/ ق.م تم ابتكار الكتابة الفينيقية، بعد أن استعانوا بالكتابة المسمارية والمصرية القديمة. وطوروها، والتي هي عبارة عن حروف، لكل منها صوت معين، لتمسي حروفهم أو رموزهم واضحة، سهلة الكتابة، لتكون هذه الحروف أساساً للكتابة في الشرق، كما في الغرب، وجاء بعد ذلك الإغريق فطوروا أبجديتهم التي نقلوها عن الفينيقيين، وذلك حوالى 403 ق.م ليصبح لديهم أبجدية خاصة بهم ليأتي الرومان ويأخذوا الأبجدية الإغريقية، وقد سادت الأبجدية الرومانية، واللغة اللاتينية بلاد أوروبا لاسيما بعد سيطرة الامبراطورية الرومانية على بلاد الغرب.

أما الكتابة العربية والأبجدية فقد جاءت متأخرة بعض الوقت عن باقي الأبجديات، وذلك لعدم اهتمام العرب بالكتابة زمن الجاهلية، حيث كان معظم القبائل من البدو، وبالتالي ليسوا بحاجة إليها، إلا أنّه وبعد نزول القرآن الكريم، ودخول الإسلام الجزيرة العربية أخذت الكتابة العربية مكانها بين القبائل. لقد عرفوا قديماً الكتاب الذي هو عبارة عن مجموعة ألواح فخارية أو عبارة عن درج من ورق البردي، وقد عرف الكتاب الفخاري السومريون والبابليون وذلك قبل أكثر من 4000 سنة أما الكتاب /الدرجي/ فقد عرفه المصريون في الفترة نفسها -تقريباً- حيث صنع المصريون أدراجاً طويلة جداً من سوق قصب البردي حيث كان أخف وزناً، وأكثر ملاءمة للكتابة من الفخار، وقد أخذت مصر تصدره إلى مختلف بلدان الشرق الأدنى، وعن المصريين اقتبس الإغريق/ الكتاب الدرجي/ ليقتبس عنهم الرومان، فمن لفظة /papyrus/ البردي اشتقت لفظة الورق /paper/ ومن اسم مدينة جبيل /byblos/ وهي الميناء الفينيقي الذي أصبح فيما بعد مركزاً لتصدير البردي، وحوالي العام400م حل الرق / parchment/ محل البردي، ليشرع العرب باستخدام الورق الذي ابتكره الصينيون في العام 105م بديلاً عن الرق وذلك بعد فتح مدينة سمرقند، إذ أسسوا مصنعاً لصناعة الورق، أما نقطة التحول في تاريخ الكتاب فكان في العام 1436 حيث اخترع غوتبنرغ الطباعة بالحروف المعدنية /المنفصلة أو المتحركة/ لينتقل من طور المخطوطة إلى طور المطبوعة، وليأتي الكتاب المقدس كأول كتاب طبع في أوروبا وقد طبعه غوتبنرغ ما بين العام 1452-1455م.

ما بين الورق... والإلكترون:

رحلة طويلة سافر عبرها خير جليس -الكتاب- ومحطة حساسة هو اليوم يقف تحت بيارقها، ليمتد عبر العلم، ويماهي التطور التقني والعلمي فيما القارئ والمؤلف والكاتب يعيش صراعاً حقيقياً بين شكل الكتاب، ورغيف الخبز... بين الارتواء الإبداعي ورسم الحروف فوق الصفحات العذراء. وبين الرسم بالحركة والحرف في مجال بث الكتروني، ومعالج علمي يستبدل فيه الورق بمدى واسع رحب، من فضاءات تتصفح عبرها آلاف الصفحات وتختصرها في ملفات الكترونية صغيرة تستطيع تسويقها عبر الانترنت على شكل أقراص مدمجة، لاسيما وقد آن الأوان لكي يشقّ الكتاب الالكتروني طريقه إلى مجال النشر، وسوق الكتب العالمي، وبالطبع ليس المقصود بهذا التحوّل أن يحلّ الكتاب الالكتروني محل الكتاب الورقي، وإنما بإمكانه أن يوفر شكلاً إضافياً من أشكال وصول الكتب إلى جمهور القراء. هذا وتعود بوادر نشر الكتاب الالكتروني إلى بداية عقدنا الحالي وقد تنبأ فيه /العالم جيتس/ بقرب أفول الكتاب المطبوع، ولعلنا بتنا نلمس ذلك بوضوح على صعيد العالم المتقدم فيما يحتاج المجتمع العربي إلى فترة طويلة ليتمكن من ملامسة ومعايشة المزاحمة الحقيقية التي يعيش غمارها الكتاب المطبوع والكتاب الالكتروني حيث التجربة العربية - في هذا المجال- ماتزال في بدايتها، وما انفك الطريق طويلاً أمام الشباب العربي الذي -حتماً- سيكون له النصيب الأوفر من الكتاب الالكتروني الذي يمكن قراءته على الحاسب أو أي جهاز محمول باليد، ويتم توزيعه كملف واحد، ويأتي كعنصر كامل مكتمل هذا إلى جانب تفرده بالخصائص التالية:

-1 إمكانية تحويل صفحات الكتاب إلى ملفات الإلكترونية أو صفحات ويب.

-2 تنسيق المراجع والكتب، وعمل تبويب وفهرسة لمحتوياتها.

-3 إمكانية البحث في محتويات الكتاب بكلمة أو جملة.

-4 حماية صفحات الكتاب من النسخ أو الطبع.

-5 بساطة قراءته باستخدام الحاسب وأجهزة أخرى.

-6 سهولة عمل إنتاج كمي من الكتاب كونه عبارة عن ملف تنفيذي.

-7 إمكانية الاتصال عن بعد للحصول على المعلومات سواء عن طريق موقع الناشر أو المؤلف أو المكتبات الالكترونية هذا إضافة إلى بعض الخصائص الأخرى التي -حتماً- ومع تقدم التطور العلمي والتقني ستجعل من الكتاب الالكتروني هدفاً أساساً في عملية التثقيف والاطلاع على آخر الدراسات والبحوث والقراءات في المجلات كافة. والواقع أنه وببساطة نقولها: لا توجد معضلة في العالم العربي أكثر تعقيداً من معضلة الكاتب والكتاب بخاصة أن الثقافة العربية تتراجع بوضوح، ليس لأن المثقفين أصبحوا أقل انتاجاً أو لتراجع في المستوى من مثقفي شعوب الأرض بل لتزايد البيئة الثقافة جدباً مع تراجع مكانة الكتاب وأعداد القراء علماً بأن ثمة أسباباً قد نعرفها جميعاً منها:

×- في عالمنا العربي ما يقارب واحداً وعشرين سوقاً عربية بحيث أصبح معه وصول الكتاب المطبوع إلى كافة الدول محدوداً.

×- بالمقابل تتواجد إحدى وعشرون رقابة وواحد وعشرون جهازاً أمنياً ثقافياً تحتاج للحصول على إذن منه للتوزيع.

×- تكاليف الطباعة الباهظة قياساً بمعدل الدخل العام لاسيما وأن ما يمكن به شراء كتاب يستغنى بثمنه باقتناء حاجة أو رغيف.

×- قد لا يجرؤ الناشر على طباعة أعداد كبيرة، وغالباً بضعة آلاف، وقد يطلب بعضهم من الكاتب (إضافة إلى أعباء البحث والكتابة) دفع كلفة الطباعة وقد لا يتم الإيفاء بحقوق الكاتب ولو كان هناك عقد مبرم.

×- صورة الكتاب، رغم أهميته الحيوية، وضرورته الفعلية لرفع مستوى الوعي العام والدفع بمسارات التنمية قدماً، ماتزال صورته أقرب إلى السلعة-هكذا يبدو لدى البعض- من سلع الرفاهية ليس أكثر.

×- ينبغي التنويه إلى أنه لولا الدعم الحكومي لكثير من الكتب ما كان ليتم طباعتها وهذا أمر يجعل النشر أقرب إلى البيروقراطية إن لم يكن محاطاً بالفساد، لا سيما وأن النشر قد يأتي أو يتقرر من قبل لجان مزاجية الهوى، متعددة الأفكار والمزاجيات والمصالح.

هذا غيض من فيض، حول واقع الكاتب الذي يجعل الخوض في هذا المضمار حلبة صراع ما بين الواقع والطموح، ويقرّب العملية إلى مجرد هواية أو غواية أو معترك اشتباك فردي مع الأفكار والرؤى ، أما القارئ فيقف على مفترق طرق ما بين الرغيف والكتاب ليحسم أمره بأن التأجيل في القراءة لا ضير منه طالما أن ثمن الرغيف أقرب إلى سد رمق أطفاله وإسكات نداءات معدته وتشظّي الجوع والحرمان.

أخيراً... ورغم كل شيء:

يبقى الكتاب غذاء الروح الذي يضاهي غذاء المعدة فأمة لا تقرأ مصيرها إلى الفناء، وشعب جاهل مصيره إلى العبودية ونبقى- دائماً- نردد: خير جليس في الزمان كتاب، والكتاب معلم صامت.

حامد حسن

شاعر الجمال في الطبيعة والمرأة

١٩١٨-١٩٩٩

•عيسى فتوح

حامد حسن شاعر، وباحث، وناقد أدبي، وكاتب مسرحي، ومرب... ولد في الثامن من كانون الثاني عام 1918 في قرية "حبسو" بمنطقة "الدريكيش" في محافظة طرطوس، وتلقى دراسته في مدرسة "اللاييك" بطرطوس، ثم معهد الآداب الشرقية التابع للجامعة اليسوعية في بيروت، حيث أعد أطروحة بعنوان "الجمالية في الشعر العربي".

أسس عام 1937 جمعية "إخوان الصفا" الأدبية. كما اشترك مع صديقه الدكتور وجيه محيي الدين في إصدار مجلة "النهضة" في طرطوس، وكانت لسان حال الأحرار، فعاشت ثلاث سنوات، إلى أن أغلقتها السلطة الفرنسية الحاكمة، بسبب المقالات الجريئة والمتطرفة التي كان يكتبها فيها، فاضطرّ إلى هجر الصحافة، والعمل في تدريس اللغة العربية في ثانويات محافظة طرطوس، واستمر في هذا العمل ثمانية عشر عاماً، إلى أن انتقل عام 1963 إلى وزارة الثقافة بدمشق، وعمل في مديرية المسارح والموسيقا، ومجلة "أسامة للأطفال التي نشر فيها بعض القصص والقصائد الجميلة.

عندما أحيل إلى التعاقد عام 1978، أثر العودة إلى "الدريكيش"، حيث تفرغ كلياً للقراءة والكتابة والتأليف ونظم الشعر، تحيط به رفوف مكتبه الغنية جداً، والعامرة بآلاف الكتب الأدبية والتراثية والفكرية والدواوين، والمطلة على أجمل المناظر الطبيعية.

تسلّم خلال تقاعده فرع اتحاد الكتّاب العرب في مدينة طرطوس، وقد ظل في هذا المنصب إلى أن "شارف على نهاية العمر، ولم يبق في مسيرته إلا خطوة أو خطوتين، وفي سراجه إلا قطرة أو قطرتين، وفي قلبه إلا خفقة أو خفقتين" كما قال في رسالة بعث بها إلى أحد أصدقائه...

وقد نفى نفسه في إحدى قصائده التي أوحاها له تجوّله في قريته، حيث مراح الطفولة والصبايا والشباب قائلاً:

على هذي التلال وكل سفح
بها وزّعت جزءاً مَن حياتي
نثرت على مدارجها شبابي
وأحلامي وبعضَ العنفوان
وأشفق أن أجوزَ على حصاها
وأحسب أنه حدقٌ روانٍ

عبرت بضاحك الوادي، ولما
أثرت الذكريات به بكاني
نزلت به وكل رطيب غصنٍ
تطاول واشرأبّ لكي يراني...

وقبل أن يجف زيت قنديله الشحيح ، تفضّل الشاعر مدحة عكاش صاحب مجلة "الثقافة" بإقامة حفل تكريمي في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، تكلم فيه عدد من الأدباء والشعراء، وأشادوا بشاعريته الخصبة، وعطائه الثري في ميادين التأليف المسرحي، والدراسات النقدية والجمالية، وجهوده في سبيل تربية الأجيال.. وفي آخر الحفل سلّمه الاستاذ عكاش شهادة تقدير اعترافاً بمكانته الأدبية المرموقة.. ولم يمض على هذا التكريم إلا بضعة أشهر، حتى وافته المنية في الثاني من تموز عام 1999، وهو في الحادي والثمانين من عمره.

أصدر حامد حسن أربعة دواوين هي: ثورة العاطفة، عبق، أضاميم الأصيل، الهوى السحيق (مسرحية شعرية)، وله أفراح الريف، والريف الثائر (أوبريت)، في سبيل الحقيقة والتاريخ (مقالات)، المكزون السنجاري، صالح العلي (دراسة)، الشعر بنية وتشريحاً (نقد أدبي)، وفي عام 1988 أصدر المجلد الأول من أعماله الكاملة، لكنه لم يكمل إصدار الأعمال الباقية.

نظم حامد حسن الشعر، وكتب النقد الأدبي، والمقالة، والدراسات الأدبية والتاريخية والفلسفية والفكرية... وقد اتسم شعره بالرقة والجمالية، وترف الألفاظ وأناقتها، وحب الجمال في الطبيعة والإنسان، والمرأة، ولاسيما طبيعة قريته في منطقة الدريكيش التي يقول فيها:

قريتي في السفحِ والسفحُ اخضرارٌ واخضلالْ
تحتها الوادي، وخلفَ السفحِ تمتدّ الجبالْ
تسبح الأطيابُ والأنوارُ فيها والظلالْ
يخضب الشعرُ بها: يرتاح، يخضلّ الخيالْ

كذلك عاشت المرأة في قلبه ووجدانه، فهي عنده "أجمل وأشهى وأندى غرسة في حديقة الله، مثيرة، ملهمة، خلاّقة، مبدعة، تعطي الرسام شكلاً ولوناً، وتهب المثّال صورة وتناسباً وأمداء، وتفيض على الموسيقا لحناً.."

وقد أوحت له المرأة الجميلة أروع قصائده الغزلية مثل: "السحر" امرؤ القيس والعذارى"، درب، انطلاق، نهد، الخائنة بدعة، اللهب الثديان، وجارة التي نظمها لمصطافة جاءت إلى " الدريكيش" فأحبها وأحبته، ثم غادرت كوخه بعد فترة، تاركة له بقايا من قطع السكّر المبعثرة فوق الطبق، ومنشفة مبللة بالدموع، ومِرْوَدَ جفنيها الملقى على جانب الشباك، وبقايا من رماد رسالة لم تحترقْ، وباقة من الحَبَق الذابل في كوب أبيض، وضع فوق مكتبه، وعلى زاوية المكتب عنوانها:

غادرت كوخي ومحرابَ الهوى
ومضتْ للعام المنطقِ
تركتْ لي ملء عيني عَبَقاً
أنا لا أعبد غيرَ العَبَقِ..

لقد تمتع حامد حسن بذوق مرهف، وإحساس عال بالجمال، في المرأة، وفي الطبيعة الساحرة، والموسيقا الشجية، واللوحة البديعة والغصن المتأوّد، والصوت الرنان، وعاش عمره للجمال ينشده ويحسّه، ويتأثر به، ويكتب عنه في شعره ونثره.

> اتسم شعره بالرقة والجمالية، وترف الألفاظ وأناقتها، وحب الجمال في الطبيعة والإنسان، والمرأة.

وداعاً.. أخي

عز الدين سطاس!

•علي المزعل

يرحل المبدعون. كما يرحل الشهداء!

الشهداء يتركون دماءهم تلوّن التراب الذي دافعوا عنه وانحنوا من أجله لتظل المعاني للأجيال وهادياً لكل المؤمنين بقضايا شعوبهم.... والمبدعون يتركون دماءهم على الورق، لتظل فعلاً تنويرياً خالداً، ورافعة لكل القيم النبيلة التي عاشوا من أجلها، لا سيما أولئك الذين تصدوا للمشروع الصهيوني العنصري ومفرزاته الخبيثة ولكل محاولات الغزو والطمس والإلغاء التي استهدفت تاريخنا وحضارتنا ومرتكزات وجودنا.

والراحل العزيز الباحث والصديق عز الدين سطاس، واحد من هؤلاء الذين أخذوا على عاتقهم فضح المزاعم والأساطير التوراتية وتزوير التاريخ، والتصدي لكل محاولات الاختراق الفكري والثقافي ومحاولات التطبيع مع الكيان الصهيوني العنصري.

فقد أمضى حياته باحثاً في التاريخ والآثار والأدب ولا سيما تاريخ الجولان وآثاره... وقد استطاع التصدي مع غيره من الباحثين لكل محاولات التزوير لآثار الجولان، ومحاولات العدو المخفقة لإثبات وجوده التاريخي المزعوم في المنطقة، منطلقاً في كل ذلك من علمه ومعرفته الأكيدة لكل حجر من حجارة الجولان، ولكل شبر من أرض الجولان وفلسطين،.. ومن وعي متقدم لما تهدف إليه الأطماع الصهيونية في المنطقة!

رحل الأديب عز الدين سطاس وبين يديه الكثير من الأبحاث المتعلقة بالجولان وفلسطين والعلاقات التاريخية بين البلاد العربية وأهل القفقاس حيث مكان هاجسه في أيامه الأخيرة البحث عن كل ما يعزز التآخي بين العرب والشركس انطلاقاً من أعماق التاريخ وحتى هذه اللحظة، ومن أعماق اللغة المعروفة لدى الجانبين والمشتركات الوافرة الحضور فيما بينها!

عرفنا الأديب عز الدين سطاس باحثاً وإنساناً ووطنياً غيوراً يحمل في وجدانه فلسطين والجولان وقضايا الفقراء والإيمان بمستقبل سورية العربية وحتمية انتصارها فيما تتعرض إليه من إرهاب خلال السنوات الخمس الماضية.

كان مثقفاً تنويرياً بامتياز، ومقاوماً صادقاً بامتياز أيضاً.

رحم الله أديبنا عز الدين سطاس وأدخله فسيح جناته وعزاؤنا في غيابه فيما ترك لنا من المؤلفات والمحبة والصدق والإيمان المطلق بالعودة إلى جولاننا الحبيب.

وداعاً.. أخي عز الدين!.

عصير الكروم!

• د. عيسى درويش

ريمٌ على كلّ القيود تمرّدا
و محا به ليلَ القرون و بدّدا
لا شيء يرجعه إلى أصفاده
أيظلّ طيلة عمره مستعبدا
الوأد كان نصيبه أو بيعه
في سوق نخّاسٍ أضلَّ و أفسدا
اليوم تنتزع الأنوثة حقّها
و تعيش مجداً في الحياة و سؤددا
أخت الرجال بكل ميدانٍ لها
دورٌ و من كل الأمَ يصبح مرشدا
لا فرق عندي بين ابنٍ و ابنةٍ
و كلاهما في المقلتين تجسّدا
اثنان من قلبٍ تواصل فيهما
خلقٌ بأمر الله ، شاء فأوجدا
في نفس آدم أشرقت حوّاؤه
و بكل نفسٍ زوجه قد وُحّدا

اعطوا النساء الحقّ لا تتأخّروا
و الظلم مفسدة فكن متجرّدا
و العلم جوهرة النساء و لم يزل
قول الرسول بفضلهنّ مُردّدا
و الإرث حقٌّ في الشريعة واجبٌ
فاعطِ الحقوق و لا تكن متشدّدا
و الأخت أحلى الأنسات حلاوةً
و حنانها زاد الوجودَ تودّدا
و الأم ما أبهى و أجمل صوتها
في صوتها غنّى الزمان و أنشدا
أما الحبيبة للحكاية متعةٌ
خجلاً على الخدّين زاد تورّدا
حطي يديك على الفؤاد فإنه
من لفظ اسمك بالسلام تعمّدا
فلقد أتينا للحياة بأمره
و إليها جئنا كي نحبّ و نعبدا
الحبّ سرّ الكائنات جميعها
و على الخلائق أن تحبّ و تسجدا

و اقطف من التفّاح خدّ صبيّة
وانهل رحيق الورد من شفة الندى
و اشرب عصير الكرم من كاساتها
و احذر عبير الورد أن يتبدّدا
فلقد خُلقنا أن نحبّ و نشتهي
إيّاك عند الحبّ أن تترددا

لماذا

•صبحي سعيد قضيماتي

لماذا لا يكون الحب أغنية
وكرماً دافقاً جودا
لماذا لا يكون الحب سنبلة
وتفاحا وعنقودا
لماذا لا يكون الحب أغصانا
تغردنا زغاريدا...
لماذا لا يكون الحب أفراحا
وأعيادا
وفي الابداع تجديداً
لماذا يا تعيس الحظ يا حبي
تفتتنا، وتحرقنا
بنار الحقد أفراداً
جماعات
وتسحقنا جلاميدا

ألم تسمع نداء الحب يا حبي
يناجينا ويدعونا
إلى الأحلام والآمال
بالإيمان
والأعمال صالحة،
وبالاحسان تجويدا؟؟

× × ×

لماذا (الحب) هاهنا مريرٌ
(سُليْعات1) وأسعار، وسمسرةٌ،
وأملاكٌ... وثرثرةٌ، وأثاث،
ومكياج
وأبخرةٌ..وأسحرةٌ، وغاياتٌ
دنيئه...
فأما القلبُ ــ مدفون بكهفٍ،
وتسكنه وطاويط
وأشباحٌ، ودودُ...
وعقلٌ ساكن إلاّ لأموال تفتتنا،
ومقاعد تحنطنا عبيدا،
وأهواء تراقصنا قرودا....
فأين الحبُّ يغزو الروح وردا
وإلهاما، ومأثرةً وجدا...
ويحكي العمر آفاقاً، وأغصاناً،
وكدا؟
لماذا الحب ها هنا مريرٌ ؟؟؟
وأوهام مزركشة سقيمة؟؟
وأفكار ملوثة عقيمة..

1 - تصغير سلعة

طفلُ الأنَاشِيد ..

إلى روح الشاعر الكبير سليمان العيسى

•ليندا إبراهيم

ماذا أقُولُ اليَومَ
يَا طفلَ الأنَاشيد الجَميلْ !! ...
ماذاَ سأكتبُ فِي غَيابكَ
كيْ يصيرَ الحبرُ أجملَ ..
مَـا أضيفُ لحزنك العالي لتصبح هذه الآلامُ
أعمقَ ..؟
لمْ يعُدْ فِي رُوحكَ الخَضراءِ
غيرُ تهجُّد الجَرح الجليلْ ...
يا صاحبَ القَلبِ المُبَلَّلِ بالقَصَائدِ والنَّشيدْ
...
أوَ لَيسَ أفضلَ أيُّها القلمُ النَّبيلُ
بأنْ بَقيتَ مُهاجِراً
فِي ليلِ أمَّتنا الطَّويلْ ؟ ...
يا أجملَ الأحزانِ فينَا
قُمْ إلى الوطَن الجَريح
و زِدْ على أحزانه تاجاً
و خَلِّ الصُّبحَ أسمَرَ بَاسماً
" للمعولِ الصلد العنيدِ .. لجبهة الفلاح .."
للفرح القليلْ ..!!
خلِّ الظلامَ أقلَّ ..
خلِّ سماءنا شَمساً منَ الأطفالِ
أغنيةً لحُلمٍ مُستحيلْ ..
يا أجملَ الشُّعراءِ
منْ ليسَتْ تراهُ الرُّوحُ
إلا فِي ظلامِ الغُربةِ العَمياءِ
و الوطنِ القَتيلْ ..
يا أنتَ ..
يا ذهباً بذاكرةِ الحُقُولِ
و فرحةَ المطرِ المُسَافرِ فِي الغُيومِ السُّمْرِ
أغنيةَ العصَافيرِ الصَّغيرةِ
صانعَ الأملِ النَّبيلْ ...
يا أنتَ ..
يا طفلَ الأناشيدِ الجميلْ ...

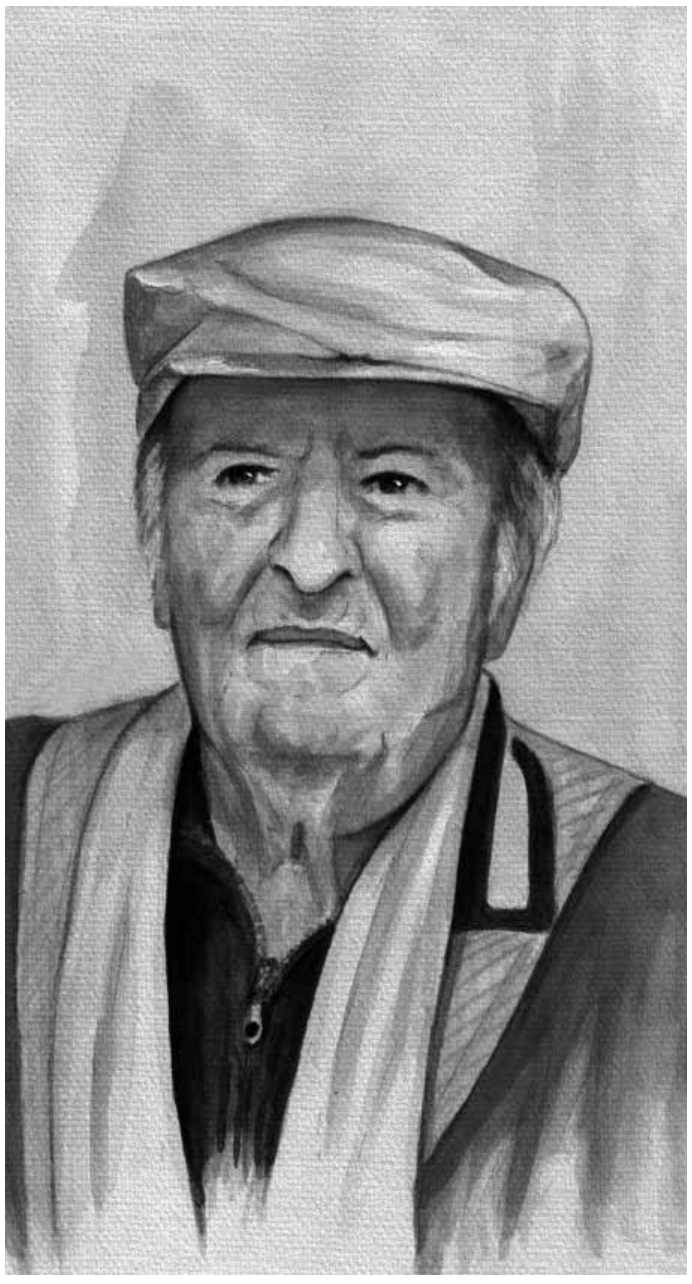

بايرون في سنترا

•قصة الأديب البوسني : إيفو أندريتش
• ترجمة : نزيه الشويخ

قبيل ذهابه إلى سنترا ، تشاجر بايرون مع أصدقائه حول الطريق الذي سوف يسلكونه في العودة.. وأشد ما أزعجه هنا هو نظرات الخادمة التي لم تستحسن تصرفه ووقفت هذه المرة إلى جانب خصومه أيضا كما في كل مرة .

كان ذلك يوم أحد ، عندما عبروا بوابة الحديقة، فتركهم بايرون ليسلك طريقاً آخر وذهب بعيداً .. هنا سمع صوت ناي يصيح من بعيد، فهيج أحاسيسه وراح يتسلق الدرج الصخري بسرعة فائقة، دون أن يكترث بساقه ذات الجبيرة المعدنية، فقد أنساه صوت الناي الألم.. وهكذا بدا منظره مضحكا وهو يكسح الطريق بساقه العرجاء ويهز برأسه .. وغذ السير في طرقات جديدة، تحيط بها شرفات مفتوحة، عبر مساحة تمتد : اثني عشر ميلا من السهول الخضراء والحدائق التي تزنر البحر حتى أفق السماء البعيدة، مما جعله لايحس بالتعب.. وهنا خطر له أن يخفف من سيره ، بعد أن وجد المكان خاليا من كل كائن حي حتى من الطيور . وتراءى له: إن هذه المنطقة هي سعيدة لأنها في عزلة في مثل هذاالمكان القصي .

وتابع صاحبنا السير في الممرات الضيقة ليدخل في ممرات أخرى محفورة ضمن سور صخري .. ويجيل النظر في الحدائق البعيدة وما بعدها ، حيث البحر ..

في هذه اللحظات ، وبشكل غير متوقع ولا يخطر على بال أحد ، ظهرت له فتاة في عمر الورود ، لم يستطع تقدير عمرها الحقيقي لكنها صغيرة، وقفت على حافة السور قرب صخرة صغيرة، جانب مرقب (مرصد) مهجور . ثم دنت منه قليلاً، فراح يفكر: من أي بلاد قدمت ، وهل هي مرسلة من جهة ما وأنها تحمل رسالة ما؟.. فذهل وتسمر في مكانه . ثم أخذ يجيل النظر فيها، بفستانها الحريري الأبيض الطويل الهفهاف، وجسمها البض، ووجهها ذي السمرة الأفريقية وعينيها اللتين تلتمعان فوق أنف صغير منمنم واسع الفتحتين.. وتبدو الفطنة والذكاء على وجهها الناعم.

تقدمت الفتاة منه، وبصوت هامس وكلمات هي أشبه بالغمغمة ، ألقت التحية عليه ، ولم يحر صاحبنا ردا ، فقد أُحرج كثيرًا لأنه لم يفهم شيئا مما نطقته الفتاة، فخجلت هي أيضاً. ثم أدرك بايرون بأن حركة شفتيها وصوتها الناعم إنما يشيان بعبارات هي أكثر من عبارات التحية ولذلك خجلت.. فرد التحية بصوت متهدج، ثم أحجم عن الكلام.. فاحمر وجه الفتاة حياء وأدركت بأنه غريب، فهزت برأسها وراحت تحدق فيه مليا ثم ارتسمت بسمة على ثغرها ومسحت شفتيها بلسانها..

ليس هناك أكثر إثارة من النساء البرتغاليات ، بأجسادهن السمراء البظة

وكأنها من عالم المعدن أو النبات ، وقاماتهن المرهفة كأغصان الأشجار المغروسة في جذع شجرة يانعة الثمر، وشفاههن المنمنمة الملونة بلون الورد الجوري ، تشبه شفاه نساء العرق القفقازي، وهي كورقة شجر نفرت عن غصنها لا تلبث أن تذوب في أشكال متعددة..

في هذه الأثناء فكر بايرون بأن يبدد صورة الموقف المحرج هذه ويخرج من حيرته وارتباكه ، بأن يظهر بمظهر الرجل الحائر المضحك - أو البهلول ..

فاستجمع قواه كلها ونهض بسذاجة واضحة محاولا إدخال الفرح إلى نفس الفتاة التي اقتربت منه ، وهو يتحرق من الداخل .. وهنا تراءى له أيضاً: إن من كان يفتش عنها طيلة عمره ها هي الآن أمامه على قمة هذه التلة الخضراء ..

- لكن أية مصيبة قادتها من إنكلترا ، عبر العالم، إلى هنا؟ وكأن شيئا مرسوما مسبقا حملها وطار بها إلى هذه التلة ..!

وهنا اهتاجت روحه المتعطشة لرؤية هذا المخلوق الجميل .. وازداد انفعاله وفضوله للقاء الفتاة المنتصبة على التلة، فقفز، من فوق هوة مغلقة بين صخرتين وعبر منحدر قاس ذي شطرين ، واحد مخضر وآخر قاحل مهجور ، طار في الفضاء الرحب بسرعة النار في الهشيم أو بسرعة البرق ، أو كشبح الموت ليصل إلى هذا الكائن الرائع ..

وهنا نال بايرون كل ما كان يحلم به وحصل على ما لا تعطه النساء وما تأخذه منا الحياة على الدوام .. كل هذا جرى فيه مجرى الدم في عروقه..

وبلحظة واحدة ، كبح هذه الرغبات كلها وأفكاره المتواترة النيرة وسيطرت عليه صورة هذه الفتاة الجميلة التي ملأت عليه وجوده وحياته وزرعت فيه حياء وخجلا غير محدودين، واكسبته احتراما لا متناهيا للكائن البشري، حتى التقديس .

وعلى مدى هذا الوقت، كان يراوح في مكانه، ثم أخذ يدور حول الفتاة وهي تتبع خطواته وعيناها معلقتان به، وراحت تدور معه ، في حركته الجنونية تلك حتى تعبت ..

ظن بايرون بأن الفتاة تنطق بشيء لم يفهمه، وبصوت متهدج، أطلق أيضا كلمات متلعثمة.. وهكذا بديا كأنهما وحشان، واحد صغير والآخر كبير ، يدوران الواحد وراء الآخر، يشمان بعضهما ويتلمسان بعضهما في لعبتهما المدهشة، كجائعين فجعين نهمين دون تورع ..

بقي بايرون على هذه الحالة يدور حولها ويدور ، كأنه مسحور، وكانت أحاسيسه تعمل بقوة وبسرعة فائقة .. ولما لاحظ عينيها الواسعتين وبياضهما الناصع وحدقتيهما اللتين تشبهان الزبرجد ، وهو ما تتحلى به النساء الصغيرات من

العالم القديم ، توقف عن الحركة ففاحت رائحة شعرها الناشف وجسدها الأسمر وقد امتزجت برائحة فستانها الحريري الأبيض الملفح برائحة الشمس الساطعة ، فأحس بأن الإنسان يكتشف الحقائق بالتجربة ، وأن كل خلية تحيا فيه في تلك الحياة القلقة هي مصدر غنى له كما هي مصدر موته كشخصية بشرية. وقد صار بإمكان بايرون الآن القول إنه يعرف حقيقة اللحظة الضاغطة والنسيان أيضا ففي جهنم ، وهي بالحقيقة حياة كل ذي حس في هذا العالم ، فإن هذه اللحظات قليلة، حيث لا واحات شاسعة للدهشة ولا فواصل ومحطات استراحة ولا صبر..

وفي هذه اللحظات، سمع بايرون، عبر الأدغال المقفرة، أصواتا في الأسفل. فجفل وارتجف كالمذعور وراح يتقصى آثار تلك الأصوات تاركا خلفه تلك الفتاة الجميلة التي وقفت مندهشة لاندفاعه كما البرق دونما كلمة وداع ..

> وهنا احتاجت روحه المتعطشة لرؤية هذا المخلوق الجميل وازداد انفعاله وفضوله..

وعبر الممرات الضيقة والمعابر، قادته قدماه إلى نفس الحديقة والمقاعد الحجرية التي بدأ رحلته منها ، فوجد أصدقاءه هناك ينتظرونه .. عادوا جميعا إلى لشبونة وعبر الطريق التي كان بايرون لا يود أن يسلكها معهم ..

وقد صمت الآن . لم ينبس ببنت شفة وصار هادئا تماما كالخروف لا ينطق لكنه يختزن في داخله ملاحظات وأفكاراً تقييمية ليس حول البشر فقط، بل وحول الأشياء أيضاً. وفي الأيام التالية عاش أحلاما جميلة وهادئة هي الأحلى في حياته . وعلى الشاطيء رآه الصيادون اللشبونيون الحفاة وحيدا سارحا بأفكاره ويحدث نفسه ، فسخروا منه وأطلقوا ضحكات فجة، لقد ظنوه مجنوناً، ولم يعبأ بذلك لأنه ليس كذلك، فهو لم يكن وحيداً وكان يتحدث مع مخلوق يعيش في سنترا من لحم ودم وله قلب طيب وعينان جميلتان وأهل وبيت واسم ولذلك ليس الأمر ذا أهمية.. بل الأهم هو أنه ارتأى إعطاء مخلوقه اسما له علاقة بالمعدن أو النبات لكنه عدل عن ذلك اعتقادا منه بأنه يقلل من شخصه ويقزم صورته .. وعلى أية حال كان يسميه في خياله "المخلوق الصغير little creature- "من دون أن ينطق به لسانه قط وبقي راسخا في مخيلته مخفيا خلف شفتيه لا يدري به بشر غيره وهو بالنسبة له كل شيء. وقد صار يغار عليه بشكل غريزي ولذلك حفظه في داخله وصانه كسر غال وعذب أو كشيء جميل لا يفرط به.

وبعد فترة من الزمن غادر لشبونة، وكل البرتغال، واتجه إلى بلد آخر حيث يتحدث مع الناس ويمازح النسوة وهو يصون في داخله هذا السر الذي ينتشي كثيرا عندما يلفظه أحد على مسمعه صدفة فيشعر بالراحة. وفي توقيعه كان

يرسم شكلا ما، ليمونة أو شكلا آخر كالملح والزيتون أو الزيت، وهي جميعا تعني له مخلوقه الجميل.. ولذلك كان يعتقد إن بمقدوره أن يدعو إلى غداء يكفي لعشرين شخصاً، كل سنترا الخضراء ومخلوقها الصغير ، ليرقصوا من دون توقف ما بين إبهامه وسبابته مع حبتي ملح. وأن ذلك قلما يحصل ، لكنه يحصل فقط على شكل وجوه أو كلمات أو في حركات النسوة. وعندما كان يخلو بنفسه كان يتخيل أنه يلامسها ، فيكتفي بتلك المصادفة السعيدة المتخيلة من دون أية ملامسة للنساء والحياة الحية .. ومن المصادفات السعيدة أيضا تلك التي حصلت له على شاطيء البحر عند الشفق حيث حدث العجب العجيب وهو عصي عن الشرح أو التعبير والكتابة .. وهو في الحقيقة يشير إلى أن التلة الخضراء في سنترا قد تحولت إلى ضوء في السماء المتناهية الحدود، وتحول الركض بساقه العرجاء، إلى طيران صامت وبطيء وكذلك صعقة ذلك اللقاء التي يرتعش لها بدنه قد أضحت مأثرة خارقة تستوطن في ذهنه إلى الأبد ومن دون تبكيت ضمير أو لوم ..

استمرت هذه الحالة قرابة السنة بكاملها. ومن ثم بدأت صورة المخلوق الصغير تصغر وتذوب كما الحلم عند الفجر ، ثم بدأ يفقد بايرون قواه بالتدريج وسيطر عليه وهم أنه ضعيف ويتيم ومسكين واندفعت في داخله أم الخطايا فحولت حياته إلى كابوس من الكآبة وعادت نرفزاته وغضبه حيال أي شيء وصارت الأمور في نظره غاية في الصعوبة والتعقيد واعتلت صحته وتراجعت كثيرا عما كانت عليه في سنترا .. وصار يرى أن قانون العقوبات الجنائي له من القوة في الأحلام والخيال بقدر ماله في الحياة، ولا فكاك منه أو خلاص على الإطلاق ..

● ترجمة عن اليوغسلافية من (مجموعة ايفواندريتش القصصية).

فضاء الحمامة

• رشاد أبوشاور

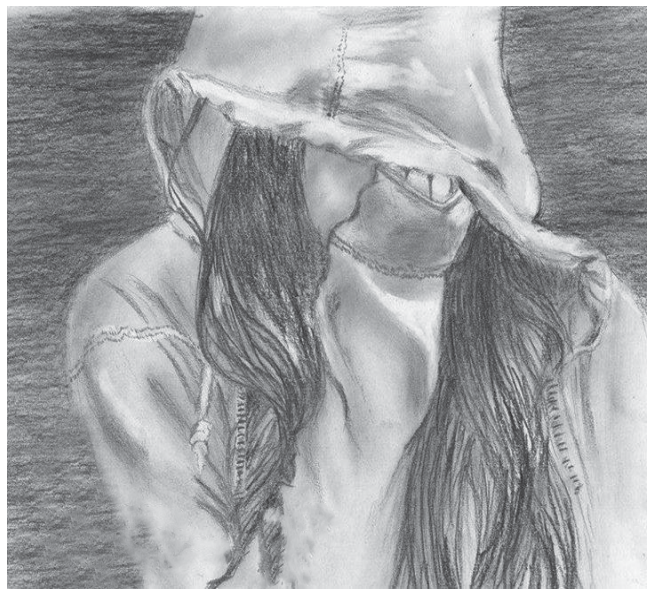

من تحت شجرة الزيتون انبثقت، تكرج مسرعة، لم تطر عندما رفعت رأسها ورأتني.

لونها بني فاتح، وريشات قليلة بيضاء في الجناحين المطويين لصق بدنها.

توقفت والتفتت خلفها، فتنبهت إلى قطة صغيرة تمط بدنها بمشية متربصة.

اندفعت الحمامة البريّة، ثم توقفت والتفتت خلفها.

أهي مريضة ولذا تعجز عن الطيران منقذة نفسها من القطة؟ أم تراها لا تخشى القطة لصغرها، وتلهو معها مطمئنة!

راقبتهما بحذر، وتهيأت لإنقاذها من القطة إذا ما باتت في خطر.

دارت الحمامة حول ساق الزيتونة، فلحقت بها القطة، وهمّت مرارا بنتش ذيلها.

تساءلت إن كانت زغلولة صغيرة لم تتعلم الطيران بعد، ولكن حجمها، واكتساء بدنها بالريش، جعلني أتشكك بأمرها. رجّحت أنها مريضة، أو أن القطة الصغيرة هاجمتها من قبل، وما زالت تتعقبها.

عندما اقتربت القطة من ذيل الحمامة، فاتحة فمها، هّامة بمهاجمتها، انحنيت بسرعة، والتقطت الحمامة، ودفعت القطة بقدمي.

بحثت عن قفص عتيق كان ابني يربي فيهاعصافير الحب التي تعلّق بها، ثم أقلع عن هذه الهواية عندما كبر، وحين وجدت القفص فتحته وأدخلتها فيه، وأغلقت بابه الصغير.

وضعت لها ماء في صحن صغير، وفتات خبز، وتأملتها قليلاً، فاطمأننت أنها ستكون بخير، ما دامت قد تجمعت على نفسها في زاوية القفص.

أخذت قيلولة في هذا النهار التموزي شديد الحرارة، ثم استيقظت، ورششت بعض الماء على وجهي، واتجهت إلى الصالون حيث وضعت القفص على مائدة الطعام.

رأيت الحمامة تدور حول نفسها بجنون، بينما القفص يهتّز حتى ليوشك أن يتدحرج على الطاولة، وهي لا تتوقف إلاّ لتنهش الأسلاك، كأنما تريد انتزاعها، ثم حين تعجز تعود للدوران حول نفسها، بينما منقارها يرتطم بالأسلاك.

يا إلهي ! يبدو أن هذه الحمامة مصابة بالصرع! أم تراها تريد أن تقتل نفسها؟!

ولكن: أيصاب الحمام بالصرع؟

وعاء الماء مقلوب، وفتات الخبز متناثر في قاع القفص، وهي تدور، مع صوت مبهم يترافق مع دورانها الذي تغيّره من اتجاه لآخر.

حملت القفص، وفي مدخل البيت توقفت.

فتحت باب القفص، وأمسكت به من جانبيه، فاندفعت الحمامة، كما لو أنها رصاصة في الفضاء.

تابعتها بنظري، وهي ترتفع بسرعة أذهلتني، لتغيب في الفضاء تماما.

طوّحت بالقفص، وأنا أتأمل الفضاء الفسيح الذي اندفعت إليه الحمامة، التي امتلكت فجأة هذه القوّة العجيبة.

عاد إلى زوجته سالماً

•غسان حورانية

صادفتنا بعض الصعوبات عند دخول الشقة إذ إن صاحبها وهو ابن عم صديقنا أبي راتب لم يذكر لنا أن المفتاح مخصص للباب الخلفي للشقة، ولولا أن فطنا لذلك >> لعانينا الأمرين <<.

كانت الشقة واسعة وذات إطلالة رائعة على البحر ولكنها كانت جدً متسخة، فالأسرَّة يغطيها الغبار والمطبخ في حالة يرثى لها وفي إحدى زواياه براد صغير تنبعث منه رائحة العفونة، وكان ذلك كله خلافاً لما أعلمنا عنه صاحب الشقة، إلا أنها تتمتع بشرفة مطلة على شاطئ جميل تداعب موجات البحر رماله الفضية بقبلات متلاحقة تبعث فينا الشوق والترقب ليوم سباحة حافل.

لم نقف مكتوفي الأيدي أمام هذا الوضع، وأردنا كسب الوقت، فسارعنا إلى تنظيف الشقة قدر المستطاع، ورتبنا الأسرة بعد أن >> نفضنا << عنها الغبار وأصلحنا من حال البراد حتى بدا الأمر مقبولاً نوعاً ما، فتناولنا العشاء على أحسن حال >> وساد بيننا جو من المرح والسرور << حتى أن أبا راتب لم يتمكن من سماع رنة الهاتف الخلوي إلا بصعوبة فحمله إلى خارج الشقة ولكن ما لبث أن عاد مسرعاً مضطرباً وهو يقول: يا شباب هذه الشاليه ليست لابن عمي، >> الله يجيب العواقب سليمة << أسرعوا يا جماعة بالرحيل قبل أن تتعقد الأمور، قاطعه الدكتور سامر قائلاً: وهل عرفت مكان الشقة الجديدة؟! فقال: نعم إنها في الجادة الخلفية.

سمع تمّام الخبر، وهو صديق – جبان رعديد – ولكنه خفيف الظل ساذج سليم الطوية، ليس من عادته أن يرافقنا في الرحلات البعيدة بل يعتبر ذلك أقرب إلى المغامرات التي تحف بها الأخطار، ولكن شاء القدر هذه المرة أن يكون في منزل أهله جراء خلاف بينه وبين زوجته فرافقنا على مضض شريطة ألا نجبره على السباحة وألا يتعدى غيابه اليومين، فما كاد يسمع بخبر الشقة المقتحمة حتى قال: أعوذ بالله من غضب الله، أنا سأنتظركم خارج الشقة.. - آه يا جبان يا نذل - قالها محمد الحلبي وهو يعيد أمتعته إلى الحقيبة، وهنا تدخل الدكتور سامر قائلاً: أرجوكم الوقت لا يسمح بمثل هذا الكلام فوجودنا هنا يضعنا جميعاً في حالة الاتهام، وعلينا الإسراع في الرحيل.

لم يمض طويل وقت حتى غادرنا الشقة بسلام، ووقفنا قرب سيارتنا في الطريق تملؤنا البهجة بالنجاة من هذه الورطة، وعندها استرد تمّام هدوءه والتقط أنفاسه، واقترب منا بخطوات ثابتة ليساعدنا بوضع الحقائب في السيارة، في محاولة لاستعادة رباطة جأشه وتبديد ما علق في نفوسنا من >> خواره << ، ثم مضينا إلى الشقة الحقيقية التي طابقت أوصافها ما ذكره لنا صاحبها، فكانت لا تحتاج إلا إلى لمسات قليلة لتكون جاهزة للإقامة، فاستغل تمّام انهماك الجميع بترتيب الشقة، وتوجه نحو أبي راتب ليهمس في أذنه مستوضحاً إن كان على يقين من أن هذه الشقة هي فعلاً شقة ابن عمه المنشودة، فطمأنه بصوت مرتفع ليفضح أمام الجميع عودة الجبن إليه من جديد، أما الدكتور سامر وهو شرّيب القهوة العتيد فقد انهمك في البحث عن علبة البن اليمني الفاخر التي >> ثقب آذاننا << في الطريق وهو يحدثنا عن نكهتها الفريدة، ولكنه لم يجدها، وبعد قليل قال بنبرة يائسة: يبدو أنني نسيتها فوق البراد في الشقة السابقة، فالتفت أبو راتب نحو تمّام وقال له ساخراً: أنت رشيق الحركة فخذ المفتاح واحضر تلك العلبة من فوق البراد، وعلت ضحكات الجميع، قاطعه تمّام على الفور قائلاً: لا أنا ولا غيري إني أحذركم فالقهوة متوفرة في كل مكان، والصباح رباح وسوف أحضر لكم من إحدى البقاليات ضعف الكمية التي تريدونها وعلى حسابي الخاص، ودعوا عنكم هذه المغامرات السخيفة، لم يهتم الدكتور سامر لما قال، ولكنه التفت موجها حديثه لأبي راتب قائلاً: أعطني المفتاح وسأقوم بإحضارها على مسؤوليتي، لم يعجب هذا الكلام أبا راتب على الرغم من عدم اهتمامه بالقهوة كثيراً، فقال: سنحضر القهوة جميعاً >> وما سيقع عليك يقع على الجميع << ، تجاهلتُ بدوري هذا الحوار وقلت: إذا سأقوم بتسخين الماء وغسل الأكواب وترتيب علب الطعام في خزانة المطبخ ريثما تعودون، فرد أبو راتب بحزم: يبدو أن لدينا جباناً آخر، لن تكون الخطوة إلا جماعية فإما أن نذهب وإما نبقى، وكم أثار عجبنا ما لمسناه من إصرار تمّام على المضي معنا، ولكن تبدد هذا العجب عندما طلب من محمد قبل الوصول للشقة بقليل أن ينزله من السيارة فلا قدرة له على الدخول من جديد، فأخبره أبو راتب بأننا لن ندخل جميعنا بل سيدخل اثنان والباقي سيراقبون المكان في الخارج ريثما تنتهي المهمة على ما يرام، وقال له: بإمكانك الانتظار بعيداً وإخبارنا عن أي تحرك باتجاهنا بجهازك الخلوي.

نزل تمّام من السيارة وبدأ السير مبتعداً عن ساحة الحدث، وعندما أنهينا موضوع القهوة بسلام، خطر لنا أن نمزح مع تمّام فطلبنا من الذين دخلوا الشقة >> الدكتور سامر ومحمد الحلبي << الاختباء في مكان قريب يمكنهم من كشف الطريق، ومضينا أبو راتب وأنا نحو تمّام وهمست في أذنه بأن الذين دخلوا الشقة قد ألقي القبض عليهم ونرجو ألا يخبروا عنا ريثما نتصل بمعارفنا لنشرح الأمر لرجال الأمن فهيا بنا إلى الشقة الجديدة، وهنا انهار تمّام وأخذ يلطم وجهه ويلعن القهوة ومن يشربها والساعة التي رافقنا فيها إلى الرحلة، وعند باب الشقة عانينا كثيراً في إقناعه بالدخول، فأخذ يتملص من بين أيدينا يريد النجاة وهو يقول: اتركوني أنا أصلاً من البداية لم أكن أريد المجيء معكم >> فلم أكن في أولها ولا آخرها << وإياكم أن تذكروا اسمي عند الشرطة، اعتبروني غير موجود معكم، مما اضطرنا إلى حمله وإدخاله عنوة وبالقوة بالإضافة للتهديد بفضح أمره أمام الجميع، فلم يجد بداً من الإذعان.

لم يمض على دخولنا الشقة دقائق حتى رن الجهاز الخلوي لتمّام فحمله بيد مرتجفة وقال: إنه رقم محمد الحلبي، وأعطاه لأبي راتب ليجيب، أخذ أبو راتب يتكلم بشكل جدي وهو مقطب الحاجبين قائلاً: نعم هذا موبايل تمّام، احترامي سيادة النقيب، وفي لمح البصر دخل تمّام إلى غرفة النوم وحمل حقيبته وفتح باب الشاليه وانطلق باتجاه الشارع، فتبعناه أبو راتب وأنا، فلم نستطع اللحاق به أو حتى الاقتراب منه لولا أن طوقته من الجانب الآخر سيارة محمد الحلبي وخلفها الدكتور سامر يسد عليه منافذ الهروب، فأمسك به وبيده علبة البن لنجتمع حوله جميعاً وينفجر الجميع ضاحكين.. ومع أن تمّام كان قد اتخذ قراره النهائي بالعودة، ولم يعد ينفع معه الكلام ولا الشدة ولا اللين إذ توجه بثبات و إصرار مهرولاً باتجاه نهاية الطريق وهو يقول: >> ما فشرتوا << أرجع معكم يا مجرمين يا أوباش والله جحيم زوجتي أرحم من جنة هذه العصابة.. إلا أننا بذلنا جهداً مضاعفاً وحملناه حملاً ودخلنا به الشاليه تملؤنا السعادة بثنيه عن قراره، وهكذا أخذ الجميع بما فيهم تمّام بترتيب أغراضهم من جديد وبروح جديدة، وبدأ محمد الحلبي يبحث عن شيء، فسأله أبو راتب ما بك؟ فقال محمد: أعتقد أني نسيت علبة المعسل في شرفة الشاليه المتروك.. وهنا توجهت أنظار الجميع نحو تمّام وانفجروا جميعاً بما فيهم تمّام، بضحكات صاخبة مترافقة بسيل من الدموع.

غرباً... البحر والغياب!

•وجيه حسن

بيتٌ لا يشبه بيوتاً أخرى.. إنه «مكتب عقاري»: غرفة يتيمة بُنيت كيفما اتفق، في غياب العيون اليقظة لمراقبي البلدية.. جدرانها مطليّة بدهان من نوع رديء، سقفها الخارجي من التوتياء المستعمل، الداخلي كان على شكل سقف مستعار.. أما البلاط فلا يُعرف له لون ولا نظافة، الواجهة صُنعت من حديدٍ صَدِيء..مثل هذا المكتب ترى عددا جمّا منَ الغرف، التي صارت دكاكين أو صالونات حلاقة، أو محال لبيع الخضار والفاكهة، أو عيادات أو صيدليات، أو أماكن لتصليح الساعات، باعتبار أننا - كعرب - نؤمن كثيرا بقيمة الوقت، وجدواه في حياتنا العامة والخاصة! في المكتب، يجتمع كل إشراقة شمس ثلة من المتقاعدين، أصغرهم في الستين، أكبرهم يقارب الثمانين أو يزيد.. السؤال: لماذا يتلاقى هؤلاء بهذا المكان الضيق؟ ثم هل يجتمعون بالصباح فقط، أم يجتمعون وقت المساء كذلك؟ في الثامنة أو الثامنة والنصف، تصل الدفعة الأولى، ثم تتقاطر مجموعة أخرى.. يلقون تحية الصباح ويجلسون، كأن على رأس كل واحد طيراً جارحاً.. منهم مَن يحضر بهندامٍ مرتب، ومَن يصل بهيئة رثة، وذقن كثة مُنفرة، وثياب عفا عليها الزمن واستراح.. يجلسون، تقدم إليهم أكواب الشاي، يتلقفونها ويشكرون.. وصاحب الفضل يذكر ويشكر! بعد دقائق ينطق أحدهم وقد أمضه قرار الصمت:

- يا جماعة.. الطقس ربيعيّ اليوم!

يرد جاره القريب:

أشاروا إلى هذا بالنشرة الجوية!

اندغم ثالث بالمحاورة:

صرنا بنهاية آذار، شهر التفتح والأزهار..

وهكذا تجري الكلمات والمحاورات.. تنطلق هادئة فاترة، ثم ما تلبث أن يحمى لهبها.. مَن له زاد من ثقافة يمسك بدفة الحديث، يكثر ويستفيض.. أكثر ما يتحدث عن الوضع الراهن، عن الأزمة المريرة التي عصفت بالوطن الأم، ودهمتنا بعقر بيوتنا وأرواحنا، وأوجعتنا!

متقاعد آخر يدلي بدلوه:

الحمدلله.. الأخبار الميدانية عال العال.. حَرَر الأبطال "تدمر"، وها هم يحرّرون "القريتين" من العصابات التكفيرية، نسمع هذا بنشرات الأخبار!

ينبس رجل ثمانيني:

رجاؤنا بالله أن تنتهي هذه الحرب المؤامرة.. والله تعبنا، خسرنا الكثير من شباب الوطن، نزح كثيرون عن بيوتهم وقراهم وممتلكاتهم.. ألا لعنة الله على القوم الظالمين، على رأسهم «إسرائيل»!

كان "أبو عبد الله"، الرجل السبعيني بامتياز، يشنف أذنيه اللاقطتين كـ "رادار"، لكنه لم يكن يعي حرفا مما يُقال أمامه.. كان صاحب وجه متغضن، وغباء باسم، ولسان أصمّ! فهو لا يشترك مع الحاضرين بأيّ حديث، لكأن لسانه أكله الجهل تماما! قبل توجهه إلى المكتب بصحبة دراجته العادية، وبزته اليتيمة ذات اللون الكاكي، يودع امرأته الطاعنة بتلويحة من يده، ثم يمتطي دراجته "الفارهة" ويتهادى! بالمكتب يقضي ساعات النهار صامتا مثل قبر، حتى الإغلاق بتمام الثالثة عصرا.. وأكثر الشخصيات التي كان يرتاح إليها شخصية الكهربائي "أبو فراس"، كان "أبو عبد الله" كثير التعاطف معه، خاصة بعدما علم أنه دخل المستشفى لفحص "البروستات"، عقب تلك العملية غير الناجحة، وأنه فقد ولديه العزيزين: "فراس، وشيرين".. الأول استُشهد بالغوطة الشرقية بأطراف العاصمة، حيث تتموضع قطعته العسكرية.. اخترقت رصاصة القناص صدره جهة القلب، فلم تمهله كثيرا، لتوديع أمه التي ثكلته، وتوديع أبيه المتقاعد المريض، وإخوته الباقين.. بعد رحيل ولده البكر، أصيب "أبو فراس" بفاجعة أخرى، لم تكن بالحسبان، أصاب سهمُها شغاف قلبه وطعنه بالصميم، وذلك بفقده ابنته الغالية "شيرين"، النازحة مع زوجها المهندس وولديهما إلى «مصر»، إذ دهمتها سكتة قلبية مباغتة، أودت بصباها حالا، وهناك كانت راحتها الأبديّة، بإحدى مقابر "القاهرة"..

عَقِبَ وصول النبأ القاسي، أصابه حجرُ الهمّ والأسى في مقتل.. من فمه المبتسم دائما، غاض الفرح، تشظت الابتسامات، لينبت مكانهما مشاتل قهر دفين! بعد عودته للمكتب، كان يستعيد بعض الذكريات، قائلا لثلة المتقاعدين أمثاله:

يا جماعة والله كان المرحوم ساعدي اليمنى، اليوم صرت بلا ساعد ولا سعد.. أما المرحومة "شيرين" الغالية، فكانت ترسل لي شهريا الحوالة تلو الحوالة، فهي منذ خمس سنوات، لم تقصر معي، رحمة الله عليها وعلى ولدي "فراس".. كان الحاضرون يرون بأمهات أعينهم جداول دمع ينثال على خديه الغائرين المجعدين! فكانوا يشاطرونه أوجاعه، وهم يزيدون كلمات الترحم على ولديه الراحلين من باب المواساة! لم يكن "أبو فراس" وحده الملتاع، فقد كان المتقاعد "أبو منار" هو الآخر مصابا بأحد حجارة الزمن العاتي.. كانت ضحكته تدوّي في أجواء المكتب، لكنه بعد رحيل ولده الأوسط "سلطان»، أضحى كئيبا تماما.. كان الراحل ملء التربية والقلب والنشاط، كانت والدته تقول له دائما وهو يهمّ بالذهاب لعمله:

«الله يعطيك من عطاياه يا ولدي، ويحفظك من كل مكروه، ويبعد عنك الظلام، وأولاد الحرام، يا رب يا كريم"!

في ذاك اليوم المشؤوم، بعد الغداء، إستلقى على "صوفا" بغرفة الجلوس، المطلة على الشارع العام، وأمه كذلك استلقت على "صوفا" قريبة، وقد أخذهما الحديث كل مأخذ.. لم يمض على هذا الوضع المسترخي أكثر من ربع ساعة بقليل، حتى دوى انفجار صاعق، اهتزت له بنايات ودكاكين الشارع بطوله وعرضه.. كان السبب:»انفجار سيارة مُفخخة»، كانت متوقفة أمام بيت أهله تماما.. انخلع باب الغرفة الخشبي، حيث يستلقي فيها "سلطان» وأمه، ليلطم الباب وجهه ورأسه بضربة قوية، لكأنه حجرٌ ثقيل يسقط عليه من عَل..وهناك في غرفة العناية المركزة، لم يمهله الموت طويلا، فقد طواه طيّا بين أنيابه إلى الأبد..يومها قال واحد من متقاعدي المكتب، أثناء قيامهم بواجب التعزية:

«رحمة الله على روحه الطاهرة، نعرفه، كان شابا من خيرة الشباب، مأواه الجنة بإذن الله... الفاتحة»..

بعد هذا الحادث الأليم الفاجع، انقطع "أبو منار" عن الحضور إلى المكتب..انتهت التعازي، ظل معتكفا ببيته، يائسا، حزينا، إلى أن أجبره زملاء المكتب، بضرورة الحضور، ليروح عن نفسه، وليخرج من هذه العزلة المقيتة.. تحت ضغوط رجاءاتهم، عاد للمكتب، ليبدأ معهم حديثا مطولا عن قساوة رحيل الابن أو البنت، عن هذه الفانية، وكم أن «فلذات الأكباد أغلى من الروح، لدى الوالدين بالظروف العادية، فما بالكم بظروف الرحيل الأبدي إلى غير رجعة»؟!

لم يمض على رحيل الابن "سلطان" أكثر من شهر، حتى فجع متقاعدو المكتب من جديد، برحيل زميلهم السبعيني "أبي يوسف"، الذي كانت ضحكته الرنانة لا تفارق شفتيه المتشققتين..لكن كيف وصلهم النبأ المباغت؟ كان الصحب من المتقاعدين يشربون شايهم المسائي على جَرْي العادة، إذ بواحد منهم يدخل متأخرا عن موعد وصوله، ليخبرهم بأن زميلهم "أبو يوسف"، قد فارق الحياة منذ أقل من ساعة، وهو الآن يرقد ليلته الأخيرة بالمستشفى! قام الحاضرون بتعزية بعضهم بعضا برحيل عزيز من زملائهم! في اليوم التالي ذهبوا جميعًا لتقديم واجب العزاء لأولاده وذويه..في المكتب وقت المساء، علق أحد المتقاعدين حديثا، وكان لا يحضر للمكتب إلا قليلا:

« يا جماعة الخير، وجوابا عن سؤال أحد الزملاء: من زمان ما شفناك؟ أقول: التقاعد أعني "الفراغ"، أشبه ما يكون بموت سلحفائي بطيء، يزحف على رصيف القلب، ليغوص في الأعماق، وهناك يسبب كثيرا من المواجع.. ودرءا لهذا، لجأت إلى موضوعة القراءة، وبها وجدت أن منسوب الفراغ شرعت تتضاءل أوجاعه وخطاياه، اقتنعت أن المبدع "المتنبي" كان على حق، عندما قال في بيته الشهير: "وخير جليس في الزمان كتاب"!

صمت..صمت..

أردف وهو يحتسي رشفة من كأس الشاي الفاتر:

فعلا بالقراءة استطعت التغلب على أوجاع التقاعد، وبها خرجت نفسي من التفكير بثقل الفراغ، وهلوسات المرض، أغيب عن التفكير بصخرة التقاعد والشيخوخة ووساوسهما.. يصريح العبارة وموجزها: صرت إنسانا آخر، أعيش مع عمالقة الفكر الإنساني، أجتمع معهم، يحاورونني وأحاورهم، أتلقى منهم بسعادة غامرة الكثير الجم من فكرهم وآرائهم وعلومهم! أشعر أيها السادة، أنني تغلبت على هموم التقاعد بخيرة الأصحاب أعني "الكتب".. أضيفوا إلى ذلك أنني أمشي كل صباح ما يقارب الساعة والنصف، ومثلها في المساء، لأحافظ على بعض من ليونة الجسد، ولتبقى الدورة الدموية بأعلى جهوزية لها..

ألقى هذه المحاضرة المسائية، ثم ما لبث أن ارتشف آخر رشفة من شايه البارد، ثم ودعهم ومضى..

نبس أحد المتقاعدين متضايقا منه ومن فلسفته البلهاء:

«هذا علاك مصدي.. جاء للمكتب ليتفلسف علينا.. الله يسعدو ويبعدو»!

قال متقاعد آخر، لم يكن أقل امتعاضا من جاره:

- « الله يكفينا شر القراء والكتاب والمتفلسفين"..

ثالث حك رأسه الأشيب مدليا برأيه:

«يا جماعة والله ما قاله زميلنا لهو عين الصواب.. كلماته حركت عندي العيدان المرمدة، ويباس الأوردة والشرايين.. إذا تأخرت من الغد عن الحضور للمكتب، فهذا يعني أنني سأكون في رياضة المشي، أومع خيرة الأصحاب أعني "الكتب"..

انتفض من مكانه كمن لدغته أفعى، قائلا لهم جميعا:

تصبحون على خير وأمل وكتاب..

ومضى في طريقه مشيا، وقد خبأ في صدره أمرا ما!

حَدَثَ غداً..

•أيمن الحسن

· متعجّلاً، كي لا أتأخر عن حصّتي الأولى، دخلت الصف.

لقد أخذ الطلّاب مقاعدهم هادئين؛ لو ألقيت الإبرة سمعت صوتها.

السبورة نظيفة، دُوِّنت في أعلاها حكمة اليوم:

«لو طاولت همّة أحدكم الثريا لنالها».

× × ×

أتوقف فجأة. ضغطت بكل عزيمة على مكابح السيارة، فانذهلت زوجتي:

- خير إن شاء الله، ماذا حصل؟

لم أجبها. كنت لا أزال أحدق في تلك اليافطة، طالعتني على حين غِرّة، فراودني شعور بالغبطة، كأنني أضم العالم بين يديّ....

نحن في زيارة - موعودة منذ زمن - لغوطة دمشق برفقة طفلنا الرضيع غدي..

منذ مدة طويلة لم نغادر أسوار البيت، بسبب مشاغل لا تنتهي، فهأنذا أعود مساءً لأنسى متاعبي، مع لثغة صغيري الجميل. لكن شريكة عمري تتذمر:

ـ كم نصحتك بادخار بعض الوقت للاستجمام!

ومع أني أدرك رغبتها في إراحتي، أذكّرها بالحديث الشريف: «إنما بعثت معلما.» ثم أتأمل دفتر تحضير الدروس - رفيقي الدائم - وأرد عليها:

- قدري أن أعشق حرفة الرسل.

فترد ممازحة:

- ومن العشق ما قتل حبيبي.

تقترب أم غدي لتتلمسني في حذر:

- هل أصابك مكروه لا سمح الله؟

أهز رأسي بالنفي، لكن دون أن أحرف نظري عن اليافطة أمامي: "أيعقل هذا؟ كم تمر السنوات سريعا.. إنها هي بالتأكيد.. وهذه شهادة الاختصاص.. كما وعدت"....

حين أنهت امتحاناتها الثانوية جاءتني:

- نجحت بامتياز.

فهنأتها: "لا أعرفك إلا متفوقة، ألف مبارك نجاحك، فماذا تنوين؟"

- سوف أدرس الطب البشري.

أعقب ساخرا:

- كي تفتحي عيادة في المدينة، أليس كذلك؟

- لا. ستكون عيادتي هنا يا أستاذ.

أصارحكم ما صدقتها يومذاك، وإلا فلماذا نفقد العديد من أطفالنا - ملائكة الأرض الصغار - خلال رحلة نقلهم إلى المدينة البعيدة في حالة إسعاف؟

عيون لماحة تترقب بلهفة ما يرسمه الحكك على السبورة الخضراء، والطريق المعبّدة طويلة بلا نهاية: تتبلل ثيابي، أو تشوى رأسي، فأنا لا أحمل مظلة شمسية، أو واقية مطر.

يا للتعب اللذيذ: الشمس الساطعة أفران سماوية ملتهبة، وتحت الأمطار الشديدة، تجتاح تلك السهول من غوطتنا، والرياح هوجاء مجنونة، ننطلق بإرادة وعزم على تنوير العقول، وتربية النفوس الغضة اليانعة أن تعيش الحياة بهدي العلم والمعرفة.

يرسم صوت المطر موسيقا عذبة، فتغمرني السعادة بنظرات بريئة، تحفز رؤى مشرقة للحياة: «أيام قادمة جميلة في أمل واعد.. لا يحد.»

إنهم يترصّدون دخولي إلى الحصّة الأولى بشوق غامر مثل عادتهم.

أشم رائحة الذكريات، كأنها الآن....

كانت البلدة قليلة السكان، تبعد عن الطريق الإسفلتية بضعة كيلومترات، ما يضطرنا - نحن المعلمين - لقطع المسافة مشيا على القدمين، فنصل مرهقين. إلا أن ما يشفع لمسيرة التعب اليومي هذه شغف الأهالي بتعليم أبنائهم، واحتفاؤهم الودود بنا؛ فإذا توقفت الدراسة، وقدم الطلاب امتحاناتهم، نعود بعد مدة مصطحبين المحصلات النهائية، فتمتد الولائم عامرة. ثم يجلب أحدهم وسيلة نقل، توصلنا إلى بيوتنا، محملين بالهدايا، ومكرمين غاية الإكرام.

- الله الله ما أجمل تلك الأيام يا زملائي!

ريفنا الحبيب مسكون بالمحبة، أناسه الطيبون مضرب المثل في الكرم والمودة الصافية.

تنهرني مستغربة وقوفي في هذا المكان بلا سبب:

- لماذا لا نمشي؟ أم تريد أن ننزل هنا؟

لا أرد عليها بل أتهجى اليافطة المرفوعة على عمود الكهرباء أمامي: "فيا بهجة اللقاء بعد غياب".

كم أنا متلهف لرؤيتها الآن:

- كيف حالك يا دكتورة؟

بهذه اللفظة المحببة كان أهلها ينادونها، منذ نعومة أظفارها، وهكذا رحنا - بعدما أعلنت الرغبة في دخول كلية الطب - نتحدث عنها:

- جاءت الدكتورة

قالت الدكتورة

وأخيرا نجحت ..... بتفوق

خبر مفرح جعلني - بالرغم من انتقالي إلى ثانوية أخرى في المدينة - مسرورا من الأعماق، بيد أن الغيرة تأخذ بيد زوجتي نحو متاهاتها:

- ومن هذه الدكتورة أستاذ؟

أبتسم بمودة، وأنا أخبرها:

- طالبة درستها منذ عشر سنوات تقريبا.

ثم أردف في سرور:

- هل تصدقين؟ لقد قدمت لي ذات يوم أقصوصة عنونتها "حدث.. غدا" تحكي عن فتاة يحدوها الأمل بأن تختص طبيبة أطفال، فهل استشرفت سيرتها منذ تلك الأيام؟

أستذكرها الآن مع زملائها بحضور واثق:

"ها قد شبوا عن الطوق

ليصبحوا على ثغر المستقبل بسمة

في عيون الحاضر مشاعل نور

وخلال المشتهى من ذاكرتنا الأمل المنشود."

تمتعض، وقد بدأ غدي يتململ في انزعاج. ثم ترمقني، بعد هنيهة صمت، وهي تفتح ستائر عينيها على اليافطة المرفوعة عاليا، مثل علم على رأسه نار:

- هل نأخذ غفوة؟

فأدلف من سيارتي مستعجلا:

- بعد إذنك، إنتظريني لحظات، لن أتأخر.

وسرت متوشحا غبطتي، أتشوق مصافحة السنبلة ناهضة في حضن تربتها الأم.

هأنذا أمضي مع السهم البادئ من اليافطة، والممتد عبر زقاق طويل، من البيوت الطينية.

بدت السماء صافية

عصافير تغرد بانسجام

وثمة أطفال صغار

ابتساماتهم نضرة

يلعبون بمرح...

السويداء تحتضن مهرجان الشعر
نيسان حاضر بثقافة التنوير

•معين حمد العماطوري

مازال الشعر يحمل بين طياته طموحات الحياة وتطلعات المستقبل، ونغمات الآهات الموسيقية، فهو الحامل للدلالة والصورة والتخييل، وهو الناقل لشعور متكامل مع وحدة زمانية ومكانية لماهية الشعر، ذلك لأنه الباعث لكل أمل والمجفف لدموع الألم جراء أزيز الرصاص، وصوت التفجيرات المنعكسة على النفس والروح على وطن لم يكتب له عبر التاريخ إلا التنمية بفضل شعبه وإرادته..بحيث جاء مهرجان الشعر بالسويداء في شهر نيسان الشهر الوافر ظلاله بالمناسبات الوطنية، إذ للسويداء خصوصية في هذا الشهر فصناع الجلاء والعدة الوطنية زاروا الجبل وعاشوا مع أهله مرارة وقسوة الاستعمار الفرنسي وتمتعوا بالجلاء المستعمر وشكل للمبدعين مادة أدبية مميزة، كما عطروا الثوار أرض السويداء في ماضٍ، فقد رفدوا شعراء الوطن الجميل إليها لتعيش يوماً شعرياً بامتياز، من خلال أصوات لها في الساحة الثقافية جمالها الخاص وألقها المتوهج وحضورها الأدبي والثقافي المميز....خاصة وأن ثقافة التنوير هي شعار الأهم والأبرز للدورة التاسعة للمكتب التنفيذي في اتحاد الكتاب العرب..

حضر الدكتور نضال الصالح رئيس اتحاد الكتاب العرب، مع أعضاء المكتب التنفيذي الأدباء مالك صقور، ومحمد حديفي، ود.جابر سلمان، وبديع صقور، والأرقم الزعبي، وعضو قيادة فرع حزب البعث العربي الاشتراكي يحيى الصحناوي، وعدد من المثقفين والمهتمين والمتابعين للمشهد الثقافي وفعاليات أدبية ونقدية شعبية ورسمية وعدد من فعاليات مهرجان الشعر السنوي الذي أقامته جمعية الشعر في فرع اتحاد الكتاب العرب بالسويداء هذا العام بمشاركة أكثر من خمسة عشر شاعراً وشاعرة من مختلف المحافظات السورية بحيث تميز المهرجان باهتمام إدارة الاتحاد في السويداء..

قسم المهرجان إلى جلستين الأولى صباحية برئاسة مقرر جمعية الشعر د. ثائر زين الدين شارك بها الشعراء بديع صقور، ود. جابر سليمان، وصقر عليشي، وفاديا غيبور، ومحمد حديفي، ود. نزار بريك هنيدي، وفي الجلسة الثانية ترأسها أمين سر جمعية الشعر الشاعر عبد الكريم شعبان، شارك بها الشعراء جهاد الأحمدية، صالح سلمان، ومحمد الحدو، وليندا ابراهيم، ومجيب السوسي..

تخلل المهرجان أشعار من النوع العمودي والتفعيلة والنثري، بحيث اختلفت إبداعات كل شاعر وفق الرؤية الثقافية التي يكونها، واشتمل معظم المشاركين على وحدة المتكاملة في الحدث الآني، والتقطوا بمجملهم صوراً تخيلية فيها الترابط بين السياق النصي والمتن البنيوي للقصيدة ذات الدلالات مع تعدد الأقنعة المختلفة في المضمر النسقي لكل صورة ومشهد ودراما وغنائية متوهجة، إذ حضرت الأزمة السورية بطريقة إبداعية ونقل الشعراء هموم الشعب وجرحهم الدامي بصوت خافت الحامل لاعتبارات وطنية فيها الألم الواضح بنبراتهم الشجية، والعتب واللوم وتنهيدات وجدانية المتضمنة أحلام المثقف لمستقبل فيه الاستشراف الواعد والحياة الواسعة لفضاء وأمل للقادم من الزمن..

تألق معظم الشعراء في صورهم التي ارتبط معظمها بين التكنيك والتقانة بالشعر.. إضافة إلى المونولوج الشعري المتفاوت في القيمة الفنية، ومن الملاحظ أن المهرجان حمل للسويداء خاصية وذلك بتكريس وتعزيز التلاقح الثقافي في تبادل الصور والتعابير، بحيث تجلت الدلالات الغنائية والإيقاعات المنسجمة مع التواتر الزمني لقصائد اتسقت بنيتها البنيوية في التموجات البحرية والسهلية وفاح من عبير الكثير منها رائحة الياسمين وعطر نسائم الجبال..

وإذا ما أردنا الغوص في مضمار بعض القصائد لربما كان الشيطان لنا بالمرصاد في التفاصيل...لكننا آثرنا أن نستمع إلى شعر تماهت فيه الآهات والمد الصوتي وعبارات الشجن والخيال المجنح في الفضاء الأرحب والأوسع بعالم الشعر والشاعرية..

ارتقت القصيدة العمودية ذات الحضور في القافية والصورة والدلالة، بحيث جعلت حالة التلقي والمتلقي يعيش معها جمال التطلع لآفاق ذات بُعد وجودي زماني ومكاني.. إذ تمكن الشعراء من انتزاع التصفيق لنهايات أبياتهم التي كان لها وقع مميز، طبعاً دون الإخفاء والنفي أن للقصيدتين.. التفعيلة والنثرية...جمالهما الوضاء الذي حمل منمنات جمالية لشعراء أصبح التكنيك الشعري لديهم حرفة، وبالتالي فإن الباحث عن جماليات القصيدة الحديثة من والتركيب البنيوي في الدلالة والدراما والغنائية واضحة عند معظم الشعراء المشاركين..مع التفاوت بين الشعراء في قوة وجزالة ومتن القصائد المقدمة.

وقبل اختتام المهرجان أوضح الدكتور نضال الصالح رئيس اتحاد الكتاب العرب بكلمات ورؤى وأفكار ملاحظات هامة شكلت قيمة نقدية بإطلاق حكم على إدارة المهرجان لجمعية الشعر، بحيث تجلت الملاحظات في مجملها بضعف إدارة الجلستين اللتين لم تكونا بالمستوى المطلوب لضبط إيقاع المهرجان والاستماع بمشهدية منسجمة مع تطلعات الاتحاد الواضع عنوان ثقافة التنوير له..

ونوه د. الصالح أن إدارة الجلستين لم تهيأ البيئة اللازمة للإصغاء الجمعي أثناء الإلقاء..

وأكد متابعته لأحدث الإبداعات الشعرية للشعراء، الأمر الذي وجب عليهم تقديم الجديد الشعري لإبداعاتهم منوهاً بالقول: "من لا يملك قصيدة جديدة كان الأجدر به الاعتذار"، بحيث يأتي المهرجان لنشر جديد الشعراء، ومعرفة التطوير في تقنية الصورة ومواكبة الواقع والتماهي مع متطلبات العصر بإبداعاتهم المميزة.

وبين د. نضال الصالح إن فرع اتحاد الكتاب العرب بالسويداء يقوم بمهام جسيمة ويعمل على تكريس العلاقة بين الحضور الثقافي والأدبي والاجتماعي من خلال أنشطته ومساهمته الفعلية، وبين التفاعل مع الرأي العام في المحافظة حول بيئة الأدب اللازمة ورسالته، مقدماً الشكر للسويداء وجمهورها وما حملته من قيم نضالية ووطنية وأدبية وفكرية وثقافية لتكون أحدى الدعائم في نشر ثقافة التنوير، لما تحمله من خصوصية في شهر نيسان كباقي المحافظات السورية..

وتقديراً ومحبة بضيوف المحافظة والحضور استهل الشاعر محمد حديفي بيتين من الشعر قبل إلقاء قصيدته معبراً عن الانتماء وتذكيراً بأعياد نيسان بقوله:

ويومض البرق في أحلى تظاهرة
للسيف حيناً وللبلطات أحيانا
لولا الدماء التي في أرضك انسكبت
ما كنت سميت يا ريان ريانا

أخيراً يمكن القول أن المهرجان قدم تجارب شعرية هامة وحمل رسالة واضحة المعالم تدل على مدى اهتمام المكتب التنفيذي بفرع الاتحاد الكتاب العرب بالسويداء وأهلها حيث حضر رئيس الاتحاد وعدد من أعضاء المكتب التنفيذي إضافة لشعراء لم يكن لهم مشاركة لكنهم جاؤوا حباً بالمناسبة وما يحملوه لجبل العرب والريان من ذاكرة في إبداعهم وفكرهم وثقافتهم التنويرية..

فعالية أدبية (شعرية، قصصية في فرع دمشق لاتحاد الكتاب العرب)

•قحطان بيرقدار

أقام فرعُ دمشق لاتّحاد الكُتّاب العرب، في الساعة الثانية من بعد ظهر الثلاثاء: ١٩-٤-٢٠١٦، في مقرّه بدمشق، فعاليةً أدبيةً شارك فيها الأدباء: "الشاعر مرهف زينو، المترجمة الأديبة ميرنا أوغلانيان، القاص أحمد جميل الحسن، الشاعرة نجوى هدبة، القاصة فاطمة أبو شقرا". وذلك بحضور هيئة الفرع وإشرافها برئاسة الأستاذ محمد الحوراني، وحضور عدد مُميّز من الأدباء والشعراء والنُقاد وأصدقاء الفرع والمهتمّين والمتابعين. وقد أدار الفعالية وقدّم المشاركين فيها القاص أيمن الحسن أمين سر الفرع.

ومن أجواء الفعالية نقتطف للشاعر "مرهف زينو" من مجموعته "كروم الحطب":

"علام إذاً كل هذا التعب
لنقل إننا خسرنا الرهان
لنقل إننا:
لم تعد شرفة تحتوي بوحنا
لم تعد لقمة تستسيغ كلينا معاً
لم يعد وهج هذا الزمان
طوع قلب.. وقلب"..

ونقتطف للشاعرة نجوى هدبة:

"التقطني
أنا حبة لوز فارغة
دراقة بذراع شوهاء
قديسة على باب دير تناسلتها الدبابير
التقطني
أنا طفلة خرقاء
تقضي يومها على أسيجة الدار
تلتقط العليق
وتباغت أوكار النحل بقلب يحترق"..

وقد شهدت الفعالية عدداً من المداخلات النقدية القيّمة، أضاءت على ما قدّمه الأدباء من شعر وقصة، للسادة: "عبد الفتّاح إدريس، ملهم الصّالح، هيلانة عطاللّه، سمير المطرود، حسين الحموي، خليفة عمّوري، وغيرهم".

سرديات ساراماغو

وكشف جذور الفاشية الجديدة سنة موت ريكاردو ريس أنموذجاً

• خليل البيطار

يحتار القارئ في تفسير صمت المبدع لسنوات وتوقف إنتاجه الأدبي، لكنه يدهش حين يطالع بعد ذاك الصمت أعمالاً عالية السوية له تمتع وتجدّد وتضيف، ويتفهّم جانباً من أسباب الصمت، وتظل أسباب عديدة خافية على القارئ والناقد على الرغم من عناء البحث والتنقيب في سيرة المبدع ومذكرات أصدقائه.

أسئلة كثيرة شغلت ساراماغو، من بينها: ما دور الكلمة والفن في صقل إنسانية البشر؟ وكيف استنبتت بذرة الفاشية؟ وهل نحن في الألفية الثالثة أمام فاشية جديدة؟ وما معنى الموت؟ وما علاقة الأحياء بالموتى؟ وهل يستطيع السرد أن يسبك الأجناس الأدبية والفنون في قالب واحد وسمفونية جذابة؟ وما معنى وجود الإنسان وسقف خياراته في أزمنة الفوضى؟

> استعاد في رواياته تاريخ البرتغال، واستخدم تقنيات ذكية من بينها: تعدد الأصوات والانسيابية السردية، وتداخل الحوار، والسخرية الدقيقة.

ولد خوسيه ساراماغو عام ١٩٢٢ في منطقة أريناغا وسط البرتغال لأبوين مزارعين فقيرين، وعمل صانع أقفال، ثم عمل صحفيا ومترجما عن الفرنسية لكسب عيشه، ونشر روايته الأولى (أرض الخطيئة) عام ١٩٤٧ وهو في الرابعة والعشرين، ثم صمت عشرين عاماً أصدر بعدها مجموعة شعرية عنوانها (قصائد محتملة) عام ١٩٦٦ ، وهجر الشعر وأصدر عام ١٩٧٧ رواية لفتت النقاد عنوانها (وجيز الرسم والخط)، ثم توالت رواياته المهمة في العقدين التاليين ١٩٨٠ – ٢٠٠٠ ومن بينها: بلتسار وبليموندا عام ١٩٨٢ ، ونقلته إلى العالمية، فصدرت له رواية في الولايات المتحدة، ونشرت روايته (حصار لشبونة) عام ١٩٨٩ وهي مهداة لزوجته بيار دل ريو ، ونشرت روايته (الإنجيل بحسب يسوع المسيح) عام ١٩٩١ ، ونال عنها جائزة جمعية الكتاب البرتغاليين، والترشيح لمسابقة أريوستو الأدبية في الاتحاد الأوربي، ومنعت الحكومة البرتغالية الرواية بضغط من الكنيسة الكاثوليكية، وآلم ذلك ساراماغو، فهاجر إلى جزر الكناري الإسبانية.

وتوالت أعماله الروائية الشهيرة التي نقلت إلى لغات عديدة: سنة موت ريكاردو ريس، العمى، كل الأسماء، مذكرات الدير، قايين، وحصل على جائزة كامويس عام ١٩٩٥ ، وعلى جائزة نوبل الآداب عام ١٩٩٨ ، وكان أول برتغالي يحوز هذا الشرف.

استعاد ساراماغو في رواياته تاريخ البرتغال، واستخدم تقنيات ذكية من بينها: تعدد الأصوات والانسيابية السردية، وتداخل الحوار، والسخرية الدقيقة على طريقة فولتير، وطوّر السرد المعاصر مستفيداً من مشهديات المسرح والسينما، ومن ثقافته الموسوعية ومن خبرته الحياتية الغنية، وكان مستكشفاً مثل أجداده الذين جابوا البحار واكتشفوا الطرق البحرية، لكن اكتشافاتهم وظفتها الإمبراطورية البرتغالية في تدمير حضارات وارتكاب مجازر ضدّ السكان الأصليين في إفريقيا وأمريكا اللاتينية.

وكشوفه انصبت على إعادة رؤية التاريخ والثقافتين المحلية والوافدة بعين ناقدة، ورصد بدايات الانحدار السياسي والأخلاقي، والتقاط اسباب تشيؤ البشر واستلابهم، بفعل قوى بوليسية وطغم عسكرية متغوّلة تحوّلت إلى أنصاف آلهة.

(سنة موت ريكاردو ريس) تعدّ نقلة أسلوبية مهمة في السرد الروائي، وإسهاماً في تطوير الرواية المعاصرة موضوعاً وشكلاً، وهي تدين تاريخ الحروب وإخضاع البشر بالدهاء والرعب، صدرت عام ١٩٨٤ ،وترجمها أنطوان حمصي ونشرتها دار المدى بدمشق عام ١٩٩٩.

تسرد الرواية سيرة الطبيب البرتغالي الخمسيني ريكاردو ريس، الذي هاجر إلى البرازيل (المستعمرة البرتغالية السابقة) أواخر العقد الثاني من القرن الماضي، وعمل في عيادته لمدة ستة عشر عاماً، ثم عاد إلى لشبونة ونزل بفندق براغانسا، ونشأت مودة بينه وبين مدير الفندق ومساعده، وأغوى ليديا الثلاثينية الجميلة التي تعمل خادمة غرف، فتسللت إلى سريره، محافظة على المسافة بين السيد والخادمة.

أثارت إقامته بالفندق وعلاقته بالخادمة فضول إدارة الفندق وجهاز الأمن، وأحس ريكاردو أنه مراقب، لا من رجال الأمن وموظفي الفندق فحسب، بل من فرناندو بيسوا الشاعر البرتغالي المتوفى، الذي واصل شبحه زيارة ريس في الفندق وفي شوارع لشبونة، وحتى في الشقة التي استأجرها لاحقا.

الطبيب ريس لا عائلة له في البرتغال، والخادمة ليديا فهمت مزاجه، لكنها نصف أمية ولم تكن لها طموحات سوى أن تكون قربه،ولها أمّ تسأل عنها دائما وتحتاج إلى خدماتها، ولها أخ في سلاح البحرية لديه ميول يسارية، وربما كان شيوعيا.

شبح بيسوا ثابر على زيارة ريس ضمن مهلة الشهور التسعة التي تمنح للموتى كي يودّعوا أصدقاءهم بحسب تعبيرالشاعر الراحل، وسخر بيسوا من أسلوب ريس الشعري ومن نمط عيشه، ولم تعجبه الطريقة التي يختار بها الطبيب عشيقاته: ليديا الخادمة، ومرساندا ذات اليد المشلولة المنتمية لأسرة محافظة.

عاد ريس إلى البرتغال كي يشهد التحوّلات التي تجري في بلاده وفي أوروبا والعالم، وكي يقطع اغترابه الذي شوّه روحه، وخلعه من محيطه الطبيعي، فرأى بلده في حالة مزرية: إمبراطورية منهارة ومنظومة بوليسية تتحكم بأنفاس البشر، وزار المسارح والشواطئ، وعرف أخبار البحارة من شقيق ليديا الذي لم يقابله، واطلع على أخبار الصراع بين مراكز القوى في البرتغال وإسبانيا من الجريدة، وكان يترك النسخة على مقعد الحديقة العامة لعجوزين يتواجدان يومياً هناك.

لاحظ ريس تسلّل الفاشية من محاور عدة: الإرث الاستعماري لبلاده وللإمبراطوريات عموماً، واستغلال المنظمات الشبابية

العسكرية واستعراضاتها باللباس الموحّد، وتقليدها التحية الرومانية، وخصوصاً في ألمانيا وإيطاليا وإسبانيا، وفي ظل هذا الوضع الكابوسي جرى قمع التظاهرات والاحتجاجات وتمرّدات البحّارة بوحشية، وكشفت الحرب الأهلية الإسبانية وانقلابات البرتغال جانباً من هذا الرعب، قبل أن يغرق العالم كله في وحول الحرب العالمية الثانية.

عمل ريكاردو ريس مؤقتاً في عيادة لزميله، وتطوّرت علاقته بالصبيّة مرساندا المقيمة في كامبرا عبر الرسائل، أو عبر لقاءات الفندق حين كانت تأتي برفقة أبيها لمراجعة طبيبها، أو في عيادة ريس أو في شقته المستأجرة، وتركز الحديث في لقاءاتهما على إمكان شفاء اليد المشلولة، وعلى جلاء المشاعر المتبادلة بين عاشقين حائرين: الصبية تريد أن تتمرّد على تقاليد أسرتها اليمينية وعلى إعاقتها، والطبيب يتجنّب إقحام نفسه في التزام يزيد مشكلاته سوءاً، فليديا أبلغته أنها حامل منه، وأنها تريد الاحتفاظ بالجنين، واكتفى بالصمت تجاه تصريحها المفاجئ، وطمأنته بأنه غير مضطرّ لتسجيله باسمه، وبإمكانها تسجيله لأب مجهول مثلما فعلت أمّها يوم ولدتها، ومرساندا أبلغته أنها لن تعود إلى لشبونة لمراجعة طبيبها، ووالدها يصرّعليها كي تحجّ إلى كنيسة فاطمة، مثلما يفعل اليائسون من الشفاء، وهي ترفض ذلك، فقام ريس نفسه بالحجّ آملاً أن يلتقيها هناك، وكشفت له الرحلة الحالة المزرية لألوف الحجاج الذين ينتظرون معجزات تنقذهم من بؤسهم المزمن.

> كشوفه انصبت على إعادة رؤية التاريخ والثقافتين المحلية والوافدة بعين ناقدة، ورصد بدايات الانحدار السياسي والأخلاقي، والتقاط أسباب تشيؤ البشر واستلابهم.

عرف ريس من ليديا القلقة على أخيها تمرّد البحارة، ورأى بأم العين كيف قمع التمرد بوحشية، وسخر من نفسه ومن حكومة بلده، ونقّب في التراث كي يكتشف بذرة الفاشية التي مدت أذرعها لاستلاب العقول والأحلام، وطرح أسئلة وجودية حول علاقة الأحياء بالموتى، وأعاد صياغة مسلمات سخر عبرها من الطرائق التلقينية التي يتلقى بها الناس العقائد والأخبار وأحكام القيمة والإدانات، ورأى أن السخرية قناع، مرّر عبرها الروائي المفارقات الغريبة، وقدّم شخصيّاته الجوّالة، كاشفاً ضعفها وتردّدها وضيق أفقها، شخصياتمتمردة ومحاصرة ومنذورة للموت، كشفت بتمرّدها عورات النظام السياسي الحامي لمصالح الأثرياء، وحفّزت القارئ على التأمّل والمراجعة.

وحين جاء بيسوا لوداع ريس آخر مرة، قال له الأخير: انتظر إني قادم معك، فاستغرب بيسوا الأمر، لكن الأمر حسم، ومضى ريس إلى مقبرة (برازيريس) أي المتع، وهو يعرفها جيّدا،وهذه سخرية لاذعة، إذ الموت أرحم من رؤية أهوال الفاشية.

رأى ريس العائد من البرازيل إلى الوطن حال أهل القاع فيه: شعب متخلف يعيش ممدود اليد، كل واحد يبيع ما بقي له: التسليم، القناعة، الصبر، وهناك دائما أناس يتاجرون بهذه السلع.ص١٥

وكان ريس يعيد قراءة كتاب(إله المتاهة) الرواية البوليسية، ويسخر من مضمونها قائلا: كل قارئ لقصة بوليسية يظنّ أنه الباقي الحقيقي على قيد الحياة، بينما الآخرون المجرم والضحيّة والتحرّي يموتون. ص٢٦ ، وعلق على ذلك بحضور بيسوا، وقال: ليس أيّ منا حيّا حقا أو ميتا حقا، فردّ بيسوا: تستطيع أن تكتب في ذلك قصيدة. ص٩١، وأضاف في موضع آخر: للحياة جانبان على الأقل، والحلم وحده يقود إلى الثاني، والإنسان متاهة نفسه.ص١٠٤ – ١٠٧

بثّ ساراماغوسخرياته في ثنايا الرواية عبر سرد منساب كما حركة الموج أو تدفق مياه النهر، في حركة مستمرّة تخفت وتضجّ كأنها الحياة في متعها ومراراتها، لا ترقيم للفصول، ولا وجود لعلامات ترقيم، وترك للقارئ أن يميّز المتحدّث أو صاحب الرأي، وردّ المحاور، واستحضر شخصيات أدبية وقيادية من تاريخ البرتغال، ورأى أنه وريث لهذا التراث الغني، وريكاردو ريس الطبيب الشاعر يحسّ أنه استمرار لشعراء برتغاليين راحلين: بيسوا وكامويس وكابيرو وكامبوس.

سخر السارد من توجّس السلطات البوليسية الدائم من الناس بمن فيهم الأطباء، وخلال التحقيق مع ريس عن سبب عودته من البرازيل، قال له ضابط الأمن: (لو كان المتمرّدون في البرازيل قد انتصروا هل كنت تبقى أم تعود، لا علاقة لسبب عودتي بالسياسة أو بالثورات، لكن الثورات ليست كلها الشيء نفسه، أنا طبيب لا أعرف شيئاً ولا أريد أن أعرف شيئاً عن الثورات الشيء الوحيد الذي يهمّني هو المرضى. ص٢١٨ – ٢١٩

وتصل السخرية إلى هجاء نواتج الاستبداد، إذ يغدو الفرد وحيداً بلا سند، قال بيسوا لريس : الوحدة ليست أن يعيش المرء وحيدا، هي أن يكون عاجزاً عن مصاحبة أحد أو شيء هو في أعماقنا، وقصّ عليه إحدى حكايات مرضه: قالت أختي (نصف الشقيقة) لطبيبي: هذا العديم الجدوى هنا، الوحدة هي أن لا تحسّ بنفسك مفيدا، حتى لو ظنّ الآخرون عكس ذلك، وحملناهم على أن

البقية ص١٥

مكابحنا والمنعطفات

في هندسة المرور من الطبيعي أن نرى شاخصات كثيرة، تنبه إلى الخطر الحقيقي الذي يترصد السائقين عند المنعطفات، قبل الوصول إليها!

خطر المنعطف هنا أنه يحجب عن مستخدم الطريق الرؤية، وكل ما لا تراه بوضوح يحمل في ثناياه خطراً ما! خطر المنعطف يكمن فعلياً في عدم قدرتنا على تحديد، أو توقع حجم المجهول، وما يخفيه المنعطف، رغم أنه قد يفضي بنا إلى ما هو أجمل، وأرحب، لكن الإنسان عدو ما يجهل، وهكذا تكثر التحذيرات، وتعمل المكابح بطاقتها القصوى!

لا يختلف الأمر كثيراً – كما أعتقد – في ممارستنا للكتابة، فنحن نخشى خوض أي تجربة لا نستطيع جدولة وإحصاء مخاطرها، سلبياتها وإيجابياتها، وهذا بطبيعة الحال ناتج عن استرخائنا واطمئناننا لما بتنا نحيط علماً بكل شيء عنه، ثم خشيتنا من مغامرة غير محسوبة النتائج قد تطيح بنا، رغم ما قد تفعله تلك الانعطافة المغامرة من صعود أو نجاح أو تميز يغير مسار حياتنا بالكامل.

لا طريق في الحياة سالكاً، مستقيماً، يخلو من مفاجآت، أو منعطفات! وليس من الحكمة دوماً أن نسير ويدنا ورجلنا تضغط على المكابح، فإذا برائحة شواء أعصابنا تزكم أنف الحياة! جميل أن نكون عاقلين، لكن الأجمل أن نحسن المغامرة، في رحلة لا نحمل على طرقاتها غير تذكرة الذهاب فقط!

•سوزان ابراهيم Suzan_ib@yahoo.com

الحرب

•رانيا كرباج

الحربُ
من كلِّ حدبٍ و صوبٍ
تحوطنا
فتعالَ حبيبي نقترفِ
السلام
و نغنّي أغنيةً
للشآم
الحربُ
تقطعُ الدربَ بينَ
قلوبنا
فتعالَ حبيبي نرتكب
الحبّ
و نطبعُ قبلةً على
حزنِ هذه الأرض
إنّها تحاولُ
أن تُغرقنَا
فمُدَّ لي قشّةَ الخلاص
عَينَيكِ الصّاخبتَين
و قلبَكَ النضر
وتحاولُ أن تخنُقنا
فانفُخْ في نفسي
هواء الحلم
و املأ رئتَيَّ
بعطوركِ الذّكية
الحربُ تلاحقنا
بنارها الخبيثة
فهيّا نمضي
بخطًا حثيثة
نملأ جُعبتنا بالثمار
و نغرقُ أرضَ الشآم
بالأشعار
حبيبي
الحربُ تريدُ أن تقتلعنا
من عيوننا
و تبثّ السّمَّ
في جذورنا
فراقصني هيّا
على وقعِ طبول الموت
و لنرفع في وجهِ العالمِ
الصوت
مُعلنينَ للملأ
أنّنا الحياةُ
و أنّنا هنا
على هذه الأرضِ
سنَبني
حُلمنا
+ + +
يشبهُ الأمل
موجودٌ
و غيرُ موجود
يشبهُ الأمل
مكتوبٌ على كلِّ زهرة
مُكدَّسٌ في كلِّ
قطرة
و يشبهُ الغزل
مرئيٌّ
و غيرُ مرئي
يشبهُ وهجَ الحبِّ
حينَ يضمُّ قلباً
إلى قلب
مسموعٌ
و غيرُ مسموع
يشبهُ الصّرخةَ المكتومة
حين تتدفّق
دموعا
بسيطٌ كنهر
عميقٌ كبحر
يشبهُ يدكَ حين تشدُّ
إلى شوقها يدي
مُتلألئٌ كسماءٍ صحَت لتوّها
من عواصفها
شفّافٌ كقوس قزح
و يفيضُ بالألوان
عميقٌ كإنسان
عتيقٌ كنيسان
يشبهُ شعاع الشّمسِ المتدفّق
لتوّه
على ورقة خضراء
محسوسٌ
و غيرُ محسوس
يشبهُ عيوننا حينَ تتعانَق
يشبه ضِفافنا
حينَ تلتقي
و يشبهُ الكلماتِ المتروكة
هنا و هناك
تنتظرُكَ كي تستخرجها
من محّاراتها
و تضمّها إلى وعي
الحياة
موصوفٌ
و غيرُ موصوف
لا تسعُهُ الحروف
لا يسعُهُ سوى قلبِ طفل
مكتوبٌ
و غيرُ مكتوب
كالحزنِ المكدّس على وجهِ
أنثى
لم تُطلق صرختها بعد
كالخوفِ المحفورِ
على وجهِ شيخ
داهَمهُ العُمر فجأة
كالأمِّ التي تهربُ إلى المطبخ
كي تصُبَّ ماءً على أسرِها
كالحبِّ الذي نما
بيني و بينَك
حينَ كُنّا صغارا
و لم نفقد بعدُ أنفسنا
كالحقِّ الذي
لابدَّ لهُ أن يموتَ
كي يولَدَ من جديدٍ
أقوى
كالحرّية
لا نعرفها إلا حينَ نعرفُ
الله
كالحياة
لا نفهمُها إلّا حينَ نفهمُ
أنفسنا
و كالموت
لا نقبلُهُ إلّا حينَ نتأكّد
أنّنا قلنا
كلمتنا

الذي حدث

•سهاد فارس حديفة

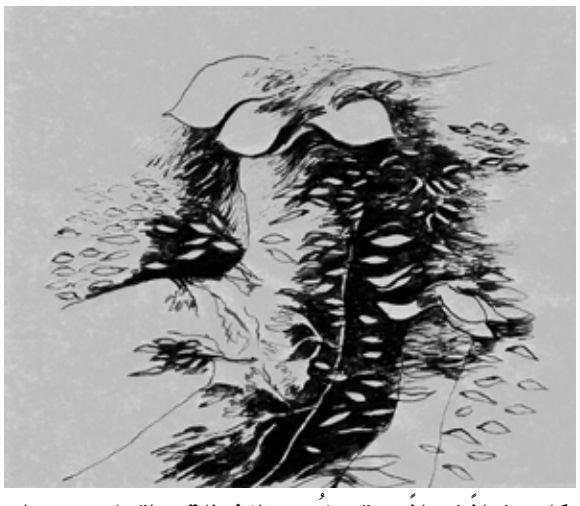

كان هزيلاً نحيلاً.. يتعرضُ لسخرية أهل الحي كلما سنحت الفرصة لهم، من صغيرهم إلى كبيرهم، نحافته أنبتت عنده الجبنَ، واستهزاء الآخرين به ولّدَ لديه قلّة الثقة بنفسه.. حتى ضاق صدره من حاله، وفكر بالسفر إلى المدينة ليعمل على إعادة بناء روحه وجسده.

جمع كلّ ما ادخره من مال، وقرر تنفيذ ما خطط له.

عند وصوله إلى المدينة، اشترك بأحد النوادي الرياضية، قابل المدرب وتوسل إليه أن يساعده على قضاء أموره، فرأى المدرب فيه تحدياً كبيراً لباقي المدربين في النوادي الأخرى، من حيث كيف كان، وكيف أصبح؟ فنصحه بتناول المنشطات لتساعده على المواظبة على التمارين ..

أطاع الشاب مدربه، وراح يتلقى تمارين اللياقة وبعدئذ رياضة كمال الأجسام، وراح يركض أميالاً وأميالاً حتى إنه اشترى كيساً من الرمل وأخذ يضاربه كلما سنحت له الفرصة متخيلاً أهل القرية واقفين أمامه مهللين لقوته.

أنهك الرجل نفسه وهو على هذه الحال، من الركض إلى النادي، إلى كيس الرمل، ولا يوقفه شيئٌ عن ذلك إلا تناول الطعام وساعات النوم.. حتى مضى عليه سنة، وعندما برزت عضلاته واشتد عزمه وتغيرّ شكله، جافاه الجبن والخوف مما زاد من ثقته بنفسه، لا بل أصبح مغروراً، عندئذٍ قرر أن يعود إلى بلدته ليرُي جميع سكانها حاله الجديد، ومدى القوة التي بات يتمتع بها.

ركب الحافلة، وفي الطريق كانت أنفاسه تتصاعد وكأنها تنتقم من رئتيه، وقال في خاطره: سوف أريهم من أنا..!

وصل إلى مشارف البلدة ، وقرر أن يكمل طريقه مشياً على الأقدام ليُسنح الفرصة لجميع أهل البلدة أن يروه.

مشى حتى وصل إلى السوق، فرأى تجمعاً للناس، وقد قام اقتتالٌ بينهم، وبعض الناس يقفون جانباً منتظرين عمّا ستؤول إليه الأمور.

رمى حقيبته وركض باتجاه المشاجرة، فلقد أتته الفرصة ليستعرض قوته..

تساءل: عمن سيدافع؟ وعلى من سيهجم ؟ ولصالح من سيريق عرقه؟ أسئلة كثيرة جالت في خاطره ولم يبالِ.. فهو مخلّصهم.. ولكن مخلص من؟ لا يهم! المهم استعراض عضلاته.

وعند وصوله إلى دائرة العراك، وما إن وضع يده على كتف أحد المتشاجرين حتى قرر أحدهم أن يطلق النار، فأصابه وأرداه قتيلاً.

السيدة ظل..

•علاء زريفة

أقلّي هذا الليل يا (راحيل) فإن قلبي ليس لي. ضعي رأسك فوق وسادة رأسي كلانا غريب، وأخو البعيد نائٍ يزف أنّاته في جرح الغريب. لا أخرج من مرآتي لئلا يخدشني ضياؤك. وعساني لا أصل. لا شيء يملأ هذا الفراغ. وفضاء القصيدة ما لا يُرى امرأةٌ تشدّ عواصفها مركب رئة ممزقة- تقول: __ السادية: أن تعرى بلا وجهة ميتة لا عاطفة تموء.. لا قدر يكف عن الحنين لأرضه البكر. وأنا أستودعك ياسميني هذا الفؤاد- الشّظايا. وأنت لا تدرك المعنى، هذا الشيء لا يفسر. الألماس لا تصقله حناجر المغنين. لا يجدعه أزاميل الزمن العبثي. حاضراً لا يعدو أن يكون ماضياً في عيني صبي يمسك الهواء بخفة ظل مطارد. اللاشيء، لا يسّمى، لا يكّنى، لا يلفظ. كغزال يتقافز بين الكلمات ليفترس إحساسه بالخوف. كثعلب مراوغ يتجنب قراءة السطر الأخير حتى لا يقع بمصيدة البداهة. الحب- اللاحب من حيث لا ندري و ندري. بركان أهوج لا يتعب من لفظ جحيمه هنا وهناك. بقوة ألف حصان وعزيمة رجل واحد أنضو الفراغ حبل مشنقة لأريح هذا القلب من عاره المكابر. أوجه للسراب شتائم، ما أعرف عن آلهة أو طبيعة قالت لي: إنها أنت. وقلت لقلبي: نعم. أغالب و أتغالب مع نفسي، على نفسي. وأعود الصدى في الصدى. حريتي ما سألقى من قيامة، ومن كناية و هاوية. أتوحد، وأغزل الدمع خلف الدمع ترنيمة مساء مسافر، ولا ترى. أحلم أن يتسع وجهها لحلمي، أراودها عن البحر في نفسها، وتدفعني إلى الصحراء جملة رملية تذر حباتها متواترة، عابرة. لا موسيقا تترجم الليل بين اصابعي المحترقة. لا نثر يبقى، لا شعر يبوح، والجنس يفرغني من آناي فكأني لا كأني. كيف لأنفك أن يخطأ حاسته؟ أعوام خلت.. وأنا أدمن النظر إلى فوهة اللهب في الفكرة. تعيدني الحكاية إلى ذاتها، أنا جرحك. وتخرجني المرأة من رحم تهيؤاتها.. أنا شكلك __ أما علمت أن للصوت رائحة __ من شقر ضفيرتي حروفك فاهبط لأراك. من شهل ما تتعشق.. تبتدي حدود بصيرتك ومني أنت. أنا خلفك. ولكن ظلي أعرج، وأنت تلهث.

الأسبوع الأدبي

المراسلات
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص.ب(3230) - هاتف 6117240-6117241 -فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 25 ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشترك السنوي -داخل القطرأعضاء اتحاد الكتاب العرب 700 ل س - للأفراد2000ل.س -وزارات ومؤسسات2400ل.س - في الوطن العربي-للأفراد6000ل.س أو150$ - للوزارات والمؤسسات 8000ل.س أو175$-خارج الوطن العربي-للأفراد 20000ل.س أو 360$ - للمؤسسات30000ل.س أو420$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجة نظر كاتبها

www.awu.sy

E-mail :
alesboa2016@hotmail.com

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:
• غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
• منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
• ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمائة كلمة.
• يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني aru@tarassul.sy
• يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

ثقافة التنوير مشروع نهضة وإحياء ...تتمة ص٣

تستدعي جهداً هائلاً دؤوباً يبذل بغية تذليلها والتغلب عليها. ولعله من البداهة بمكان ومن قبيل تحصيل الحاصل القول بأن مشروعاً كهذا ليس من شأنه أن يتحقق بقرار من قبيل (كن فيكون) فالتنوير مهمة تربوية تثقيفية تراكمية تؤتي ثمارها على مدى من الزمن غير قصير، قد لا تنضجها، كما ينبغي لها ويراد، سنوات خمس من الزمن. ولربما يحسن بنا ألا تفوتنا الإشارة إلى ما ألفناه في السنوات الأخيرة من تواتر الدعوات إلى (ثقافة المقاومة)، غير أن أحداً من الداعين إليها لم يحدد للمقاوم مفهوماً واضحاً ومحدداً لمضمونها يعينه على تنكب الطريق إلى ما نذر نفسه له، وهو يدري تماماً لماذا يناجز الأعداء – متعددي الوجوه والسمات والتبعيات- حتى النصر أو الاستشهاد.

في رأيي أن (ثقافة المقاومة/ لا غنى لها عن (ثقافة التنوير)، فهذه الأخيرة هي من يحدد للمقاوم (من هو)، (لمن ينتمي)، (لماذا يقاوم)، و(من هو العدو)، وغير ذلك كثير.

ضياع هذه الحقائق، أو لنقل غيابها، جعلت من بعض من يحسبون على هذه الأمة من يقاتل من أجل (الحور العين)..! ومن يحارب أهله وذوبه أنفسهم، ومنهم من استبدل بالصديق العدو من دون أن يدري فلقد أوصله الجهل وفقدان الوعي والتوجيه والتنوير الرؤية السليمة فمضى إلى محاربة بني جلدته لصالح الأعداء وخدمتهم وهو بحسب أنه يحسن صنعاً.

إن ثقافة التنوير وثقافة المقاومة متلازمتان تعضد إحداهما الأخرى، إذ هما تتوجهان معاً نحو الهدف الأسمى للأمة، إذ سيان تحرير الأرض وتحرير الفكر والعقل. إن الذين يتصورون أن التحرير يمكن أن يتحقق بالسلاح وحده مخطئون. سلاح التنوير وسلاح المقاومة، جنباً إلى جنب يبلغان الهدف المنشود.

إذا كانت (البندقية) هي سلاح مناجزة العدو الغاصب فإن (الكلمة) هي سلاح هزيمة الجهل ومنتجاته.

وفي هذا المقام لا ينبغي لنا أن تفوتنا الإشارة إلى أن أعداء أمتنا – وعلى رأسهم العدو الصهيوني وحليفه الأمريكي- كان دأبهم على الدوام العمل على تعميم (ثقافة) الإظلام والتعتيم والتجهيل وتشويه الصورة، وهذه هي مناقضات التنوير والتوعية والعلم والمعرفة لكي يضمن (أ) إبقاءنا على حال من الضعف والخواء لا تقوم لنا جرّاءه قائمة في مقارعته شبه الأزلية، إلى أن يزول كيانه عن ديارنا و(ب) استمراره في استغلال أوضاعنا هذه على الصعد كافة، سواء كان ذلك ممثلاً في الهيمنة والسيطرة والاحتلال والتجزئة، أو كان استغلالاً للثروات التي تزخر بها أرضنا العربية. ولا يقل عن هذه وتلك شأناً إبعادنا عن قيمتنا الحضارية والأخلاقية التي أورثناها للعالم ذات يوم مضى.

في يقيني أن جمهرة الشعب العربي اليوم عطشى حتى الظمأ

كالعيس في البيد يقتلها الظمى

والماء فوق ظهورها محمولُ

هي في حال من التوق بلا حدود لمن ينير لها الطريق السوي لتجاوز واقعها الأسوأ في تاريخها الحديث الذي آلت إليه أحوالها.

إنها في حاجة لمن يقدم لها مصباحاً هادياً يحملها إلى مستقبل رغيد بعد أن أنهكت قواها النكبات المتوالية، والنكسات المتعاقبة، محصلة العدوان المتواصل عليها بغير ما انقطاع من جهة، ومحصلة الخواء الفكري واختلاط المفاهيم وتضارب الرؤى من جهة أخرى على مدى العقود السبعة أو الثمانية المنصرمة. ذلك المصباح هو هذه الحملة المعلن عنها بمسمى (ثقافة التنوير)، مشروع نهضوي واعد.

سورية..وحدة الأرض والشعب ...تتمة ص٥

وعرب، ويمنحون الجنسية الفاتيكانية ولكن سرعان ما تسقط عنهم بانتهاء عملهم في الدولة، ومهما يكن، فإن دولة الفاتيكان ذات خصوصية دينية تميزها، ولا يزيد عدد مواطنيها عن الألف.

والتنوع في الشعب والتعدد والاختلاف على مستوى الجنس والعرق والدين والثقافة دليل على قوة الدولة وتماسكها، وهو باعث في حال القوة على نهضة الدولة وتقدمها وتحضرها، يشهد على ذلك العصر العباسي في تاريخ الحضارة العربية، فقد امتدت رقعة الدولة واتسعت وشملت مناطق جغرافية مختلفة ومتباعدة من الصين إلى الأندلس، وصب في محيطها أنهر من الروافد الثقافية، وشملت أمماً وشعوباً من الهند والفرس والروم والأحباش والترك والبربر، بالإضافة العرب، وحوت على ديانات مختلفة، من إسلام ومسيحية ويهودية وزردشتية ومانوية، وحفلت بمذاهب وفرق دينية وفكرية وفلسفية مختلفة، فكانت بحق مرحلة ازدهار ونشاط وعطاء حضاري في الأدب واللغة والعلوم والفكر والفلسفة، بل كانت أزهى عصور التاريخ العربي.

ويبدو من الضروري الكلام هنا على مصطلحين اثنين، وهما الفيدرالية والكونفيدرالية، والمصطلح الأخير يعني قيام اتحاد بين عدة دول، مع احتفاظ كل دولة باستقلالها وعلمها ورئيسها وحدودها ودستورها، وحقها في الانسحاب من الاتحاد الذي تشاء، ويبقى كل شعب في دول الاتحاد محتفظاً بجنسيته، والغاية من هذا الاتحاد تحقيق هدف معين، كمواجهة خطر خارجي أو داخلي مشترك، أو تحقيق تطور اقتصادي، أو غير ذلك من المصالح المشتركة، وأبرز مثال عليه هو اتحاد دول أوروبة، أما الفيدرالية فهي الاستقلال الذاتي لجزء من الدولة، بحيث يكون لهذا الجزء دستوره وقوانينه وميزانيته، ولكن يظل منضوياً تحت علم الدولة وفي ظل حكومتها ولا يكون له تمثيل خارجي ولا ينفصل عن الدولة، ومن دواعي الكونفيدرالية اتساع رقعة الدولة، أو شمولها لشعوب وثقافات كثيرة مختلفة، وأبرز مثال على الكونفيدرالية النظام الإداري في الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي الحقيقة يكتنف المصطلحين قدر غير قليل من الغموض، وليس ثمة اتفاق مطلق على دلالتهما، ويختلف فهمهما بين مرحلة تاريخية ومرحلة أخرى، أو بين دولة وأخرى، بما يتفق ومصلحة الدولة التي تريد الأخذ بالمصطلح وتطبيقه.

ومن الغريب أن تتداول بعض الأوساط الخارجية الكلام على الفيدرالية والكونفيدرالية في أثناء الحديث عن سورية، ويجري استعمال هذين المصطلحين بقدر كبير من الغموض، ويراد من ورائهما طرح مفهوم التقسيم بصورة غير مباشرة، وسورية ليست بحاجة إلى فيدرالية ولا كونفيدرالية، وهي في بنيتها الاجتماعية والسكانية والجغرافية والتاريخية والثقافية ترفض التقسيم، ولن يتحقق فيها التقسيم، وهو ما حاولت من قبل فرنسة تحقيقه، في أثناء احتلالها لسورية بين عام 1920 وعام 1946، ولكن فشل مشروعها، وأكدت الثورة السورية الكبرى ضد المستعمر الفرنسي وحدة الشعب ورفضه للتقسيم.

وسورية في الواقع تُحقق مفهوم الدولة بوحدة شعبها بأطيافه وأديانه ومذاهبه وعاداته وثقافاته كلها، بما فيها من تعدد وتنوع، بل بما قد يكون فيها من اختلاف، والاختلاف سنة الحياة وشريعتها، وسورية دولة منتجة وقوية بوحدة شعبها، وأكبر دليل على ذلك عيش الأرمن في سورية، واحتفاظهم بمذهبهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وتعلمهم إلى جانب ذلك اللغة العربية، وقيامهم بحرَف وأعمال لها دورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في سورية، ولا سيما تصليح السيارات وصياغة الذهب، وتفضيلهم البقاء في سورية، حتى بعد قيام دولة أرمينية، والأجيال الجديدة من الأرمن تتقن العربية، إلى جانب اللغة الأرمنية، ومن الأرمن في سورية شعراء وكتاب بالعربية، وبعضهم أعضاء في اتحاد الكتاب العرب.

إن الشعب في

سورية واحد وموحد بانتمائه إلى تاريخه وارتباطه بأرضه وتطلعه إلى مستقبله وتلاحم مكوناته وأطيافه كلها، وهو يرفض كل أشكال التفرقة أو التقسيم، ولا تناسبه الفيدرالية ولا الكونفيدرالية، وهذه حقيقة الأمور، وطبيعتها، وستبقى وحدة الشعب والأرض في سورية الحقيقة التاريخية المطلقة والمعيار الأول والمنطلق الأساسي في الحاضر وفي المستقبل.

سرديات ساراماغوف وكشف الجذور ...تتمة ص١٣

يظنّوا ذلك، الآخرون يخطئون في أغلب الأحيان.ص٢٥٨

الجمل تجري في حوار متّصل وتوضيحات فلسفية واجتماعية، يفضي فيها محاور حيّ لآخر افتراضي (شبحي) شريك في الحوار بآراء عميقة، حول مشكلات مزمنة أصابت البشر في أزمنة الفوضى والكوارث والحروب العبثية وأهوال الاستلاب.

ليديا الخادمة نصف الأميّة أظهرت معرفة بحاجات شقة ريس الأساسية، وحين زارت الشقة لهذا الهدف كان هم الطبيب أن يدفعها نحو السرير، لكنها أفلتت منه، وسجّلت ما تريد جلبه، وقالت ساخرة إزاء ذلك: الرجال مهملون كالأطفال، إنهم يجرون إلى أقصى العالم بحثاً عن طريق الهند، والأساسي ينقصهم، ما هو، لون الحياة البسيط.ص٢٧٠

أدارساراماغو في مقدمة أحد فصول الرواية حواراً مسرحياً بين جارات شقة الطبيب، تساءلن فيه بطريقة بوليسية عما تفعله خادمة زائرة، وتبادلن المعلومات، وسألت إحداهن وكيل البناء عن سيرة الطبيب، وقالت إحداهن: من المفيد دائماً أن يكون هناك طبيب في البيت، إلا أنه ينبغي أن نستطيع الوثوق به أولاً. ص٢٨٦

شخصيات الرواية مرسومة ببراعة، وقد أحسن ساراماغو مزج واقعيته الغرائبية بواقعية انتقادية ساخرة قل نظيرها في الأدب الأوروبي، إذ سخر من عجز النخب وتردّدها وتخليها عن دورها المحفز لتطوّر المجتمع،واستخدم طرائق تصوير مبتكرة مستقاة من ثقافته السينمائية والمسرحية، ومنها: عندما خرجت ليديا لم تجرؤ جارة الطابق الأول على فتح الباب..اكتفت أن ترقب من فرجته، كسنّورة بعيني صقر، الصورة الهاربة التي كانت تمرّ، هوائيّة، تحمل رائحة الرجل كدرع، هذا هو الأثر الذي يتركه فينا الآخر..رائحة غريبة، عادية، لحيوان طريف، ليست رائحتها ولا رائحته، بل الرائحتان ممتزجتين. ص٢٩١

تلاعب ساراماغو بالألوان والكلمات والمشاعر، وكشف بسخريته زيف واقع متصدّع، الصداقة والإعجاب والحب والقيم الإنسانية فيه انزاحت عن معانيها، مخلّفة بدائل غريبة وأوهاماً، فهذا بيسوا يسخرمن بيتي شعر قرأهما الطبيب له، ولاحظ أن المدارات لم تغيّر شيئاً من قريحته، والبيتان هما: لا نرى الحواجز التي تدمّرنا / ننساها كما لو لم تكن موجودة، ورأى أن من كتبهما يستعمل كلمات تكذب، وأنه يراه بدقة نموذج الرجل غير القادر على الحب.ص٣٧٧ وعلّق بيسوا قائلاً: يجب أن يكون المرء أعمى كي لا يرى الحواجز المدمّرة.

أسلوب مشوق مزجت فيه البساطة والعمق بلون الحياة البسيط وغناها، وسرد منوّع وتلوينات سريعة للمشاعر، تنعكس عليها تلوينات الطبيعة المتضامنة أو الغاضبة، ومفارقات أظهر من خلالها الروائي أن البلدان تتغيّر، فالبرتغال وإسبانيا كانتا جسراً حضارياً ومنطلقاً لكشوف مهمّة حيناً، ثم غدتا تربة للفاشية والكوارث تستمدّ منها الفاشيات الجديدة نسغ تسلطها، وفهم ساراماغو تغيّرات البشر وتردّداتهم ونفعيّتهم، ورأى أن الصعوبة لا تكمن في معايشة الناس بل في فهمهم.

ووظّف ساراماغو التراث الشعبي والأسطورة ومخزون الذاكرة الجمعية في تصوير حالة انهيار أصابت مركز العالم المتحضّر، إذ أعيد تمجيد القوة والتفوّق العرقي، وتسخير الشعوب الضعيفة في حروب تخدم مصالح المستعمرين، وأعيد إنتاج فاشية مدمّرة نشرت حالة استلاب وديماغوجية، وحولت المبدعين إلى نكرات، وظلّت كوارثها وتشوّهاتها تصدم العيون لعقود.

وسرد الروائي المتقن منح الشخصيات انسجاماً وواقعية في الأداء، وقدرته على تجاوز طقوس الرواية مكّنته من بناء تشابك معّد بين المتخيّل والواقعي والرمزي، ومن تحقيق إثارة وتعاطف وتماه مع الشخصيات كما يحدث في الحياة العادية، على حدّ تعبيرفانسان جوف. كما أن نسيج الرواية المتماسك وتقنيّات الروائي المتنوّعة قدّمت لوحة قاتمة لا لمحنة المبدع فحسب، بل لمحنة البشر والنخب عموماً في عالمنا، أمام زحف قوى الظلامية والفاشية الجديدة وأشكال الاستلاب المحدثة.

أ.محمد حديفي

ماذا بعد؟!

إذا كانت السنوات الخمس العجاف التي مرت على سورية والسوريين، والتي حملت في أيامها ولياليها لا بل ساعاتها ودقائقها عناوين لا أقسى ولا أفظع، وأناخت على صدورنا هماً بدا في كثير من الأحيان أكبر مما يمكن أن يتحمله بشر، حيث القتل وجز الرؤوس وترويع النساء والأطفال، وتشريد السكان الآمنين من منازلهم، أو تهديمها على رؤوسهم هو العنوان الأبرز والأوضح والأقسى!!!

إذا كان كل ذلك وغيره الكثير الكثير غير كافٍ بأن يقدم الدليل والبرهان على أن سورية تتعرض لمؤامرة تستهدف وجودها وجغرافيتها وثوابتها ومؤسساتها لبعض السوريين، وبخاصة الكتاب والمثقفين، فإننا نشعر بأننا عاجزون عن تقديم براهين أوفى لهم، وفي حال كهذه علينا أن نصل معهم إلى قناعة تامة بأنهم كوّنوا قناعاتهم منذ اليوم الأول بعد أن أغمضوا عيونهم وأصموا آذانهم عن كل ما يرون ويسمعون وذلك عن سابق إصرار وتصميم، لا بل وقد ذهب بعضهم إلى الوقوف في الصف المعادي لهذا البلد بينما بعضهم الآخر راح يختلق المبررات للعدو الذي راح ينهش جسد هذا البلد سواء كان ذلك العدو الذي اقتحم الحدود وسعى لأن يجعلها مباحةً لكل قتلة العالم كي يدخلوها ويعيثوا فيها فساداً وقتلاً وتنكيلاً، أو العدو الداخلي وهو الأخطر لأنه كان يعيش بيننا نراه ويرانا، ولربما أنه كان من أكثر الفاسدين الذين ينهشون جسد الدولة حينما تقلد منصباً يمكّنه من اتخاذ قرارات أثبتت الأيام بأنها كانت الأقسى والأشد على نفوس السوريين وعيشهم لأن هذه القرارات المتخذة وبخاصةٍ تلك التي لها علاقة مباشرة بمعيشة السوريين وقوتهم اليومي أسهمت إلى حدٍ كبير في إضعاف الاقتصاد، وتبديد أموال الدولة التي هي أولاً وأخيراً ملك للشعب...

وحتى لا أذهب بعيداً وأوضح الواضح للعيان ولكل ذي بصر وبصيرة، أرى أن جريمة المثقف والكاتب هي أكبر بكثير من تلك التي اقترفها جاهل باع نفسه وضميره لأعداء البلد، وذلك لأن المثقف والكاتب هو صوت الأمة، وضميرها الذي يجب أن يسخّر كتاباته وإبداعاته للإشارة وبشجاعة مواطن الخلل، ويرفع صوته عالياً مطالباً بمحاربة الفساد والمفسدين....

أما الذين صمتوا خلال السنوات الخمس العجاف الماضية، أو سخروا أقلامهم لمناصرة القتلة والغزاة، لا بل ذهب بعضهم إلى توجيه انتقاداته اللاذعة والسامة للذين رفعوا أصواتهم عالياً، ونددوا ببشاعة الجريمة التي اقترفت وما زالت تقترف بحق هذا الشعب، ثم راحوا يكيلون التهم والشتائم، وينعتونهم بشتى الصفات التي إن دلت على شيء فإنما تدل على ضعف النفوس والوقوف في الصف المعادي لهذا الشعب...

والأدهى من ذلك كله أن هؤلاء وبخاصة الكتّاب منهم يرفعون أصواتهم عاليةً مطالبين بأن يكونوا في المقدمة، رغم أنهم هم من اختاروا المكان الذي يقفون به الآن، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هؤلاء وأمثالهم هم عبء على هذا البلد وفي الصف المعادي له لذلك ليس من حقهم أبداً أن يطالبوا بمكان لهم بيننا، فهم الذين اختاروا لأنفسهم المكان الذي يتواجدون به الآن .. وخارج حدود الوطن النازف.

الأمثلة على ذلك كثيرة، ومن أقصدهم بالكلام يعرفون أنفسهم جيداً، بعضهم الآخر تعاملهم فيما يتعلق بنشر ما يكتبون في مطبوعات الاتحاد فجاءت كتاباتهم ذاتية وكأنهم يعيشون في قارة ثانية، وبدا ذلك كله من خلال ما كتبوا ويكتبون وكأنهم لم يروا أو يسمعوا بالذي حصل ويحصل وقد يحصل مستقبلاً في هذا البلد...

لهؤلاء نقول إن اتحاد الكتاب العرب في سورية اتخذ قراره صريحاً وواضحاً ولا لبس فيه، بأن هذا الاتحاد وُجد لرفد القرار السياسي السوري الواضح والصريح والذي هو مساندة الجيش العربي السوري الذي لولا صموده وبسالته وبطولاته ومن ثم استماتته للدفاع عن تراب الوطن، لما كان واحد منا في المكان الذي هو به الآن، لذلك فإن كتاباتنا يجب أن تتجه صريحةً وواضحة لمساندة هذا الجيش وتسليط الأضواء على بسالته وشجاعته وكذلك مساندته، ثم علينا أن نمجد هذا الشعب الصامد الصابر، ونطالب بحقوقه كاملة وغير منقوصة، لأن من حق شعب صمد وصبر وتحمل وقاس، أن يكون معززاً مكرماً، له الحق في العيش الكريم، وله الحق في أن تكون كرامته محفوظة وحقوقه مصانة....

أما الأمر الآخر فهو الدولة بمؤسساتها التي هي ملك لهذا الشعب، والتي يجب أن تكون مصانة لأن مؤسسات الدولة هي بمثابة العمود الفقري إذ يجب أن يظل سليماً معافى، وباستقامته وثباته واستمراريته يبقى الوطن مصاناً، ويبقى الشعب بكامل أمنه وثباته، فما دام هذا الشعب ثابتاً وقوياً يثبت الجيش وبالتالي يتعافى الوطن...

نحن الآن كسوريين نجابه حرباً كونية فرضت علينا، وقد كان لثباتنا وصمودنا الأثر الأكبر في إحراز الانتصارات التي يسطرها الجيش العربي السوري، وقد اتخذ السوريون قرارهم، وهم بذلك صريحون وواضحون، فالأرض السورية ملك لجميع السوريين، والحدود السورية يجب أن تظل ثابتةً وراسخة، وأخيراً السوريون هم سادة قرارهم ويستقتلون في الدفاع عنه، فلا أحد يملك الحق في أن يملي عليهم ما يجب أن يكون، وليس لأحد الحق في أن يتدخل في قرارات هذا الشعب الذي دافع آباؤه وأجداده وبذلوا دماءهم رخيصةً في سبيل أن يظل حراً وسيداً، وحين حانت ساعة التضحيات أثبت الأبناء والأحفاد بأنهم جاهزون للتضحية وبذل الدماء، وكل ذلك حباً بالوطن وتراب الوطن.

إذاً هذا الوطن الذي صمد فيما مضى، وها هو يصمد الآن، وسيصمد مستقبلاً حينما تدعو الحاجة، جديرٌ بالعيش فيه وحتى حمل اسمه وهويته من ينتمي بصدق لقداسة أرضه، ومن دفع في سبيله أغلى الشهداء..

mouhammad.houdaifi@gmail.com

الأسبوع الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المديـر المسـؤول:
د.نضـال الصـالح
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيـس التحريـر:
أ.محمد حديفي

مديـر التحريـر:
د.حسـن حميـد

الهيئة الاستشاريـة:
أنيسة عبود. د. حمدي موصلي. كوليت خوري. محمد حمدان. مريم خيربك. د. نزار بني المرجة. نذير جعفر

هيئة التحريـر:
د.سليم بركات. غسان كامل ونوس. فادية غيبور. لينا كيلاني. د.يوسف جاد الحقّ

الإشراف الفني:
نضـال فهيم عيـسى

رئيس القسم الفني:
مهـا حسـن

تتمة اتحاد الكتّاب العرب جبهة ثقافية تعتز بها!

تتمة ص١

والثقافات، والأنظمة، والتراث، والقيم النبيلة.

وأصحاب هذا المحور يريدون الانتقام من سورية وضرب فكرة الاستقرار، والوطنية، والعروبة فيها، لأن سورية رأت في العروبة انتماءً وليست اختياراً فالقومية ضرورة في زمن العولمة المتوحشة..

كما تحدث الدكتور خلف المفتاح عن أهمية القضية الفلسطينية وارتباطها بالبعد القومي، وأن حياتنا تدور حول هذه القضية من أجل تحرير فلسطين وإعادة أهلها إليها.

ورأى د. خلف أن اتحاد الكتّاب العرب يريد من خلال طرحه لشعار (ثقافة التنوير) أن يجعله سلوكاً ثقافياً ومعرفياً قابل للقياس بوصفه معياراً لفعالية الثقافة والأدب. وأن اتحاد الكتّاب العرب يشكل جبهة ثقافية كاملة نعتز بها!

وأن جانباً من مهمّة الاتحاد هي اكتشاف المواهب الأدبية ، من أجل أن يفتح أمامها ويتيح طرق الإبداع. وأن فكرة التشاركية في العمل هي فكرة مهمة وضرورية، والتعاون سمة من سمات العمل الوطني.

وأنه لا بدّ من توافر الاقناع في العمل، لأن الاقناع الجماعي، والاقتناع بالأفكار والمشاريع الثقافية هو الذي يؤدي إلى النجاح.

كما لابدّ لنا من أن نجد في اتحاد الكتّاب العرب النموذج الإيجابي في مجال التفكير، والثقافة والإبداع. وصحيح أن النجاح يفكر به الأفراد، ولكنه مؤشر على نجاح المؤسسة!

وأن خطوات الاتحاد في مجال الاستثمار مهمة، ولابد من تعزيزها أكثر، وأن الجوائز التي أعلن عنها الاتحاد تؤكد فعالية الاتحاد ودوره في استقطاب الأدباء العرب وتثمير الحياة الثقافية.

وتطرق د. خلف للحديث عن خطة اتحاد الكتاب العرب الثقافية بوصفها مشروعاً ثقافياً طموحاً من أجل هزيمة المشروع الفكري للمذاهب والعشائر بعد أن تم هزيمة الإرهابيين عسكرياً!

وأنه من الواجب أن تتفعل هذه الخطة في جميع المدن والمحافظات السورية بما تحمله من أهداف وطنية وقومية مهمّة!

لأن الاتحاد هو المنظمة الأكثر انسجاماً وتناغماً لأن الجميع يعملون من أجل تعزيز الجبهة الثقافية التي يقودها اتحاد الكتّاب العرب.